جمهورية العراق ديوان الوقف الشيعي

مجلة فصلية محكمة

تعنى بالتراث الكربلائي

تصدر عن:
العتبة العباسية المقدسة
قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية
مركز تراث كربلاء

مجازة من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
معتمدة لأغراض الترقية العلمية

السنة الثانية/ المجلّد الثاني/ العدد الأول
جمادى الأولى ١٤٣٦هـ / آذار ٢٠١٥م

وظائف مراثي الإمام الحسين (عليه السلام) في الشعر العراقي للحقبة (١٩٠٠-١٩٥٠)

Functions of Imam Husain's (peace be upon him) Elegies in Iraqi Poetry for the Period (1900-1950)

م. د. علي حسين يوسف

الكلية التربوية المفتوحة في كربلاء

Lecturer Dr. Ali Husain Yusif

Open Educational College

Karbala University

الملخص

هذا بحث يقف على مراثي الامام الحسين في الشعر العراقي الحديث في ثلاثة محاور:

الأول: الوظيفة النفسية التي تجسد الرؤية الذاتية للشعراء في رثاء الإمام الحسين عليه السلام.

الثاني: الوظيفة الأجتماعية والأخلاقية التي تعبر عن طموحات الشعراء في بناء مجتمع فاضل.

الثالث: الوظيفة السياسية التي نجد أثرها من خلال محاولة الشعراء وأستلهام مبادئ الثورة الحسينية في رفض الظلم والمطالبة بتحرير الشعوب.

- وخرج البحث بمجموعة نتائج يمكن تلخيصها في أن الشعراء العراقيين في مراثيهم الحسينية أن الأدب ينبع من ذات الأنسان، ولكنه لايستطيع أن ينفصم عن واقع المجتمع الذي يعيش فيه الأديب، فقد سجل الشاعر العراقي وفي حضرة الإمام الحسين عليه السلام كل همومه التي أثارتها عوامل السياسة محرضا، ومستنهض، او ناصحاً، وشاكياً الى سيد الشهداء، وبذلك فالشاعر كان يعي دور الكلمة في تغيير الواقع السياسي، فضلا على وعيه بأن الأدب ليست بعيد عن الأحداث السياسية، وهذا يعني أن الشاعر كان يمارس دوره في نقد ذلك الواقع حتى في حالات حزنه.

Abstract

This research aims at investigating Imam Husain's (peace be upon him) elegies at the period specified as such elegies have kept treating Arab affairs. Accordingly, this research falls into three sections:

The first: The pscychological function which reflects the personal viewpoints of the poets in elegizing Imam Husain (peace be upon him) .

The second: The social and ethical function which expresses the poets ambitions in establishing a virtuous society.

The third: The political function the effect of which is noticed in the poets attempts and their acquiring of the principles of Imam Husain's revolution in not accepting injustice and appealing for nation's freedom .

The research ends with proving that the Iraqi poets in their Imam Husain's elegies start from inside the human being which is inseparable from the society reality in which the writer

lives. The Iraqi poet, in the presence of Imam Husain (peace be upon him), expressed his sorrows and troubles stimulated by the pscychological, social, ethical and political factors.

توطئة

ينطلق هذا البحث من ان الأدب عامة، والشعر خاصة، لا بدَّ أن يكون هادفاً لتحقيق غاية منشودة؛ نفسية أواجتماعية أوأخلاقية أوسياسية مستنداً في ذلك إلى أمرين: مبدأ الالتزام في الأدب الذي يقابل مبدأ (الفن للفن)[١]، وإلى استقراء مراثي الإمام الحسين عليه السلام في الحقبة موضوع الدراسة، إذ إن تلك المراثي لم تنفك من معالجة قضايا الإنسان العربي، فقد عبرت عن هموم الجماهير وطموحاتها، إذ حاول الشعراء توظيف الحقائق التاريخية المتمثلة بأحداث معركة الطف من أجل ربط الحاضر بالماضي لمنحه قوة وثراء، ولتأكيد عمق الانتماء التاريخي المتمثل بأنصع صفحات التاريخ، صفحة الثورةالحسينية.

إن أهم ما ميز مراثي الإمام الحسين في العراق خلال النصف الأول من القرن العشرين تلك النظرة النقدية للواقع العراقي وهوأمر يدل على إدراك واعٍ عند الشعراء بمسؤوليتهم التاريخية، وشعورهم بأن غائية الأدب لا تتعارض مطلقاً مع قيمه الفنية الخاصة، وقد وجد هؤلاء الشعراء أنَّ الأدب «يجب أن يندغم في مشكلات المجتمع... حتى يحيل حياتنا الفردية إلى حياة اجتماعية تترفع عن الهموم الشخصية الصغيرة، وتضطلع بالهموم الإنسانية الكبرى»[٢]، لذلك كان التزام هؤلاء الشعراء بقضايا أمتهم وهم يرثون الإمام الحسين عليه السلام معبراً عن التزامهم بمبادئ الثورة الحسينية، كون تلك المبادئ خير ما ينهض بالإنسان إلى

عالم السموالروحي والأخلاقي[٣]، فضلا على ما يؤديه رثاء الإمام الحسين عليه السلام من رؤية ذاتية تتمثل في رجاء التقرب إلى الله عن طريق الإمام الحسين عليه السلام وما ينتج من ذلك الأمر، من شعور بالراحة النفسية، والأمان الداخلي وهكذا نجد إن "الشاعر يهدف إلى خلق عالم أفضل من العالم الذي نعيش فيه"[٤]، وهذا المنحى في التوظيف الشعري يعكس اهتمام الشعراء بالقضايا الإنسانية التي أكدتها الآداب العالمية وأفرزتها المتغيرات التاريخية[٥]، فظهر ذلك واضحا في الموضوعات الجديدة، ولا سيما السياسية الاجتماعية منها، واستعمال المفردات المعبرة عن تلك الافكار الجديدة مما دفع الشعراء الى ان تكون مراثيهم الحسينية معبرة عن رسالتهم الانسانية والقومية فضلا على ما تضمنته تلك المراثي من قيم دينية وأخلاقية وتربوية.

لذلك سيكون هذا الفصل في ثلاثة محاور:

الأول: الوظيفة النفسية التي تجسد الرؤية الذاتية للشعراء في رثاء الإمام الحسين عليه السلام.

الثاني: الوظيفة الاجتماعية والأخلاقية التي تعبر عن طموحات الشعراء في بناء مجتمع فاضل.

الثالث: الوظيفة السياسية النى نجد أثرها في محاولة الشعراء واستلهام مبادئ الثورة الحسينية في رفض الظلم والمطالبة بتحرير الشعوب.

أولاً: الوظيفة النفسية:

تتمثل الوظيفة النفسية للشعر عامة -والرثاء خاصة- في ما تثيره من عواطف كامنة في النفس، وما يتولد من ذلك من استقرار نفسي، فالنصوص الأدبية المؤثرة «تكشف من أمامنا آفاقا فسيحة من الخيال المجنح، والعاطفة المتقدة»[٦]، ويبدوهذا الأمر جلياً في النصوص التي ترتبط بعقيدة الإنسان يقول أحد الباحثين المعاصرين "إن قراءة القرآن -مثلاً- لا تتحفني بطائفة من الأفكار ولا تحلق بي في أجواء من التأملات فحسب، ولكنها إلى ذلك تنفحني نسائم من العواطف، وتثير عندي طائفة من الانفعالات، وقد تفرض علي سلوكا معيناً"[٧] إن الإنسان إذا ما آمن بعدالة قضية فإنه يكون من الناحية النفسية مستعدا لتقبل كل ما يدعم ويعزز تلك القضية، وحينما يكون النص الأدبي موظفا لتلك القضية، فإنه سيكون محور التقاء بين المبدع والمتلقي، طالما أن هناك اتفاق ضمني مشترك على قضية واحدة "فالمتلقي حين يتعرض لمادة من هذه المواد فإنه يتحرك باتجاه إصدار حكم عليها والاستجابة لها"[٨] والنقطة الأساسية التي يلتقي عندها الشاعر والمتلقي في مراثي الإمام الحسين عليه السلام هي المنزلة العظيمة للإمام، وعدالة قضيته وتضحيته في سبيلها مما تترب على ذلك أن يكون الإمام الحسين عليه السلام شفيعا لمحبيه وأنصاره.

إن مبدأ الشفاعة من أهم الأسباب التي دفعت الشعراء إلى القول، وجعلت المتلقي يعيش حالات التأثر والتصديق لما يحققه مبدأ الشفاعة من شعور بالأمان النفسي عند المسلم، من هنا كان الحزن على الإمام الحسين عليه السلام خيارا يميل إليه الشعراء من أجل نيل شفاعته، للوصول إلى مرضاة الله، وهذا وحده يمكن أن

يكون كافياً لبعث الراحة النفسية للشاعر والمتلقي معاً، فالكل بحاجة إلى من يأخذ بأيديهم يوم القيامة، يقول عبدالحسين الحلي[٩]: (من الرمل)

أنت لي ركنٌ شديدٌ يوم لا يُلْتجى إلاّ إلى ركن شديدِ
هذه مني يدٌ مُدت فخذْ بيدي منك إلى ظل مديدِ

فالإنسان بما هوكائن تتجاذبه الغرائز والنزوات، فإنه سيظل عرضة للخطيئة والتقصير، مما يولد في داخله أنواعاً من الصراعات التي تزعجه وتقض مضجعه باستمرار، ولاسيما حينما يتراءى له ذلك الموقف الرهيب، وهويعرض للحساب الإلهي، يوم القيامة فيأتي دور الشفيع – الإمام الحسين عليه السلام هنا يخفف عن تلك الصراعات الداخلية، وليكون بارقة أمل في النجاة، يقول محمد علي اليعقوبي[١٠]: (من الخفيف)

لست أرجوسوى حضوركم يو م وفاتي وفي الحساب خلاصي

إن ملازمة الحزن لطلب الشفاعة في المرثية الحسينية دليل واضح على إيمان الشعراء بشفاعة الإمام الحسين عليه السلام، فقد "ارتبطت ثورة الحسين وشخصيته، ومبادئه وبطولته وتضحيته بالألم، والألم بالأمل، والأمل بالإنقاذ والخلاص النهائي، لأن البشرية لا تستطيع لوحدها أن تتغلب على الألم البشري، وبذلك أصبح الاستشهاد طريق الشفاعة والخلاص"[١١]، فالإمام حينما ضحى بنفسه وأصحابه، فإن ذلك كان من أجل خلاص المسلمين، حتى إن تضحيته في سبيل الإسلام لم تقف عند حد، فقد أعطى الله كل شيء، فأعطاه الله كل شيء، ومما أعطاه الله للحسين، أن يغفر لمن نصره، ولوببيت شعر، أوبدمعة حزن[١٢].

يقول محمد علي النجار[١٣]: (من الكامل)

وأرى ببعدي عن رثائك جفوةً ... فنظمت أبياتا على مقداري
لأكونَ مصداقَ الأحاديثِ التي ... تُروى لنا في جملة الأخبارِ
من قال فينا بيت شعرٍ واحدٍ ... فله جنان الخلد دار قرارِ

ويقول عباس رشيد الخزاعي[١٤]: من (الخفيف)

تدخلون الجنات من قال فيكم ... بيت شعر وقلبه مسرورُ
وشعوري لديكم والقوافي ... هي لي عندكم شفيع نصيرُ

فقد جعل الشعراء من شفاعة الإمام الحسين عليه السلام وسيلة للخلاص الأخروي، وكانوا يتكلمون بلهجة الواثق المطمئن لرسوخ ذلك المبدأ عندهم، فكان خير وسيلة حاول الشاعر من خلالها الانتقال من "حالة إحساسه الحاد بالواقع؛ واقعه النفسي الذي يموج بألوان الصراع... وعندئذ يكون الدافع إلى الإبداع هوالرغبة في التخلص من هذا الواقع»[١٥].

ويقول عبدالمنعم الفرطوسي[١٦]: (من البسيط)

أنت الشفيعُ وما عندي لما اكتسبت ... يداي غيرك يوم الحشر من أملِ[١٧]

فقد حاول الشاعر من خلال الكلمة الصادقة تحقيق غايتين تتمثل الأولى بالاستجابة لدافع القول بوصفه إنسانا مبدعا، في حين تتمثل الثانية في رجائه بنيل شفاعة الإمام الحسين عليه السلام لتتوحد الغايتان في تحقيق جومن الأمان النفسي والاطمئنان الداخلي.

والملاحظ أن الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام لم يكونوا شفعاء في الآخرة فحسب، بل إن الشعراء استنجدوا به للخلاص من صعوبات الدنيا ومصائبها،

أولطلب النجاح في حياتهم يقول يعقوب جعفر الحلي[١٨]: (من البسيط)

إني لأرجوكمُ في كل نائبةٍ فإنكم خيرُ مرجوٍ ومنتدبِ

ويقول محسن أبوالحب[١٩]: (من البسيط)

أنتم رجائي وأنتم عدتي وبكم أرجوالنجاةَ فأنتم علةُ العللِ

ويقول عبدالقادر رشيد الناصري[٢٠](من الخفيف)

يا ابن رب البيان كن لي شفيعا يوم لا شافعَ سواكم ومطلبْ
واذكُرَنّي لدى إلهك إن جئـ ـتَ ومن حوله التسابيح تسكبْ
قل له... عبدك المشرد يحيا في زحام الحياة من غير مأربْ
غيره ناعم بدنيا الأماني وهوفي عالم الشقاء معذبْ

إن هذا المنحى في طلب الشفاعة والنصرة يكاد يكون ظاهرة عامة في خواتيم المراثي في إشارة من الشعراء إن حزنهم على سيد الشهداء دليل على إخلاصهم لمنهج أهل البيت عليهم السلام لذلك فمن حقهم أن يتوسلوا به لتحقيق مطالبهم التي تعبر عن نفوس أرهقها الزمن، فلم تجد سوى اللوذ بحمى الحسين عليه السلام لاستعادة الثقة بالنفس، وليكون ذلك للشاعر «طريقا في المثوبة على شعره وقصائده... كي ينال الشفاعة والأجر والمثوبة»[٢١].

وقد تلبي المرثية الحاجة النفسية للانتقام من أعداء الدين -ممثلين بقتلة الإمام الحسين- في إشارة إلى حنق الشاعر وغضبه عليهم، وذلك من خلال التحريض على أخذ ثأر الإمام والاقتصاص منهم، يقول عبدالمنعم الفرطوسي[٢٢]: (من الطويل)

أما آن للموتور أن يطلب الوترا فيشفي بأخذ الثأر أفئدة حرىَ
وللحق أن تطغى به عزماتهُ فتنذر أهل الشرك بالبطشةِ الكبرى

وللعلم المنصور أن يبلغ المنـى فيخفق منشورا على الطلعة الغرّا

إن القراءة النفسية لمثل هذه النصوص يمكن أن تكشف عن أوجه الغرض الذي يقصده الشاعر في طلبه للثأر، مثلما تكشف عن المزاج الشخصي للشاعر، ولاسيما إذا عرفنا أن الشاعر-أي شاعر «يقضي عمره في جهاد ونضال وعراك مع الدنيا والناس ومع الأوهام والأباطيل والأضاليل»[٢٣]، فالفرطوسي الذي عاش حياة بائسة[٢٤] يمكن أن تعبر أبيات التحريض المتقدمة التي بلغت حوالي ٣٧ بيت من أصل ٦٧ بيت أي أكثر من نصف المرثية على إعادة الموازنة النفسية للطبقة التي ينتمي لها الشاعر بحكم ما تعرضت له من عوامل القهر والاضطهاد، فمثل هذه الأبيات يمكن أن تكون ردة فعل تتناسب وجسامة القلق الذي يعيشه الشاعر[٢٥]، وقد يحاول الشاعر من خلال التحريض أن يعبر عن ولائه لأهل البيت انطلاقا من التبرئة من أعدائهم، فيكون ذلك جزءً من رسالته الأدبية التي تمثل "رسالة التزام هادف يدعم القيم القومية والإنسانية ويدافع عن الإنسان كلما لحقه لون من شتى ألوان الاضطهاد[٢٦]. من هنا يمكن أن تفسر دعوات التحريض بأنها دعوات ولائية لا دعوات انتقام من الآخرين، ولاسيما وأن مبادئ الثورة الحسينية تأبى ذلك وقد تنعكس الحالة النفسية للشاعر في المرثية بصورة تساؤل وشك في حقائق التاريخ، يقول محمد مهدي الجواهري[٢٧](من المتقارب):

وقلت: لعل دوي السنينِ بأصداء حادثك المفجعِ
وما رتل المخلصون الدعا قمن مرسلين ومن سجعِ

يدا في اصطناع حديث الحسين بلون أريد له ممتعِ

أريـــد الحـقـيـقـة في ذاتهـــــــا بـغـير الـطـبـيـعـة لم تـطـبـــــعِ

إن نفس الجواهري في هذه الأبيات غير مطمئنة لما يراه الشاعر ويسمعه من الدعاة بشأن قضية الحسين عليه السلام فيذهب به الشك إلى الشك فيما عنده من مسلمات متوارثة بشأن حديث الحسين عليه السلام، يقول الجواهري[٢٨]:

وجاز بي الشكُّ فيمـــا مع الـ جدود الى الشك فيـمـا معـي

لكن شك الشاعر لم يكن سلبياً بل كان سبيلاً إلى الوصول إلى حقيقة الثورة الحسينية الناصعة إنه أشبه بشك ديكارت حينما قاده إلى الإيمان بالله[٢٩]، يقول الجواهري حينما يتجاوز مرحلة الشك[٣٠]:

فـأسـلـم طـوعـا إلـيـك القيـــاد وأعـطـاك إذعـانـة المهـطـــعِ[٣١]

فقد حاول الشاعر خلق جومن الاطمئنان الداخلي، التي قد تنتقل إلى المتلقي، لأن النص الأدبي المؤثر حين يخرج من حوزة المبدع فإنه يتحول إلى ملك مشاع بين المتلقين، فيؤدي الوظيفة نفسها والأثر ذاته، فقد يشعر المتلقي بما يشعر به المبدع إلى درجة أنه يتماهى مع النص في حال من (الاتحاد الفني) أي «أن تحس نفسك، والصورة التي تراها، أوالموسيقى التي تسمعها شيئاً واحداً»[٣٢]، وهذا وجه مهم من أوجه الوظيفة النفسية في مراثي الإمام الحسين عليه السلام، لأن هذه الوظيفة لا يمكن أن تفهم إلا ببيان الصلة بين (أنا) الشاعر و(النحن) الذي يمثل المتلقين "من حيث إنها عملية تمضي نحوإدماج الـ(أنا) مع الاخرين في بناء اجتماعي متكامل هو (النحن)"[٣٣].

وقد تتمثل الوظيفة في الكشف عن الأبعاد الخفية لحزن الشاعر، ما يسهل فهمه

وتفسيره، ولاسيما أن شعراء المراثي الحسينية -في الحقبة موضوع الدراسة- لم يكن حزنهم على الإمام الحسين مجرداً من غاياته، فلعل القارئ لا يجد مرثية تخلومن بارقة أمل توحي بأن دولة العدل لا بد أن تحقق يوما، فالحزن بهذا المعنى حزن إيجابي لا حزن خضوع وانهزام، فقد يكون «الحزن علامة قوة، لا علامة ضعف؛ لأنه يشهد بإدراكنا لقيمة ما نفقد، ولا نكون كذلك إلا ونحن أصحاء...»[٣٤].

إن هذا المزيج الغريب من الحزن والأمل، وربما لا نجد ما يماثله في أي نوع من الأدب ما خلا مراثي الإمام الحسين عليه السلام، فالشاعر يعي حزنه، محاولا في أغلب الأحيان تسويغه بأسباب منطقية يقول عبدالحسين الازري[٣٥]: (من الكامل)

لا غـــروإن طـوت المنـيـةُ مـاجـدا كـثـرت مـآثـره وعـــاش قليلا

فهذه خصيصة الإنسان المؤمن الذي ينطلق من الحزن ليصنع الفرح، أوفي حزنه يكمن الفرح.

ويصور يعقوب جعفر الحلي حزن عدد من الأنبياء على الإمام الحسين عليه السلام، لإسباغ الشرعية على حزنه، فيقول[٣٦]: (من الوافر)

ومـوسـى راح وهـوبـه كليـمٌ وفـيـه أســىً بكى عيسى المسيحُ
وأكـــرم أنـبـيـاء الله طـــه وأشرفـهـم غـدا فـيـه يـنـــــوحُ
ألا تهـوي الـسـماء وذا حسيـن عـلى الـغـبراء منعفر طريـحُ

فالشاعر في رثـاء الإمـام الحسين عليه السلام لا يكتفي بالحزن، بل يحاول أن يسجل أسبابه، وقد يتعدى الأمر إلى المطالبة، والحث على الحزن، يقول محسن أبوالحب[٣٧]: (من البسيط)

فـرضٌ علينا ثياب الحـزن نلبسها عـلى الحسين بـن طـه سيد الرسلِ

ونـذرف الدمع حزنا لأبـن فاطمةٍ مـن القلوب دمـاءً لا مـن المقـلِ

فقد حاول هؤلاء الشعراء أن يكون حزنهم على الإمام الحسين عليه السلام منسجما مع حزن الأنبياء والوجود على سيد الشهداء أنه جزء من الحزن العظيم الذي «لا يكون إلا من نصيب الرجل العظيم، ولوكان البكاء عيباً لنزه الله الأنبياء عن البكاء»[٣٨].

إن هذه النصوص الحزينة تكشف عن الواقع اللامرئي المتمثل بخبايا النفس الإنسانية، ولاسيما عند النفوس التي تتحسس مرارة الواقع، فليس كل إنسان بقادر على الرؤية الفاحصة والدقيقة لواقعه، فالإنسان العادي لا يرى ما يراه الفنان أوالشاعر، أولا يستطيع أن يعبر عما يراه بالطريقة نفسها التي يعبر بها الشاعر فخلف كل بيت شعر يوجد العديد من المعاني والصور، وخلف كل كلمة حزن يكمن واقع مرير، واقع الشاعر نفسه وقد يسقط الشاعر كل آلامه وأحزانه في رثائه للإمام الحسين عليه السلام يقول الشيخ كاظم آل نـوح[٣٩]: (من الخفيف)

سئمتْ نفسهُ الحيـاةَ ليحيـى الـ ديـــن إذ قـتـلـه بـــه إحـيـــاءُ
نـصر الـديـنَ ديـنَ احمـد إذ سـا قـت جـيـوشا لحـربـه الطلقـاءُ

إن الشاعر يستشرف الواقع من خلال تحسسه لما يثيره هذا الواقع في نفسه من هموم ومتاعب، يحاول إفراغها في البكاء على الإمام الحسين عليه السلام وكأن الإمام الحسين عليه السلام بما شهد من مآس يمثل المعادل الموضوعي لأحزان الشاعر كلها «فلكي يعقل الإنسان العالم ونفسه لا بد له من أن يخرج عنهما، وأن يحتل منهما برج المراقبة...»[٤٠]، فإن التعبير (سئمت نفسه) يمكن أن يكون إشارة واضحة لما يشعر به الشاعر نفسه، لذلك فإن مثل هذه المعاني تجسد قصة النفوس التي حاصرها عبء الواقع فلم تجد سوى الحسين عليه السلام ملجأ تلوذ برياض ذكره

العطرة، وهذا لا يعني هروباً من مواجهة ذلك الواقع أونكوصاً من الشاعر بل محاولة لاكتشاف الذات من جديد، الذات التي لا تجد نفسها إلا بحضرة الإمام الحسين عليه السلام، وهذا ما يطلق عليه علماء النفس بالوقاية النفسية التي يلجأ إليها الإنسان للوذ «بتلك الأنماط السلوكية التي سبق للشخص أن ألفها واطمأن إليها»[٤١]، يقول السيد محمد جمال الهاشمي[٤٢]: (من الطويل)

فعذرا أبا السجاد طفحةَ شاعرٍ ... يحاول أن يرمي إليك بسلمِ
وأنت الذي قد حاول الفكر سبره ... ففاض ببحر من معانيك مفعمِ
لذلك اتخذت الدمع للشعر مجهرا ... يرى فيه أسرار الوجود المطلسمِ
فما كنت إلا عالما مترامیا ... يشع بأقمارٍ ويزهو بأنجمِ

إن الشاعر بوصفه إنساناً فناناً لا بد وأن حاجاته النفسية تبقى من دون إشباع في الأغلب، وأن الخيارات المطروحة أمامه، قد لا تتناسب ومزاجه، مما يؤدي به إلى حالة من التوتر التي لا يستطيع تحملها، لذلك يعمل جاهدا لخفض ذلك التوتر باللجوء إلى رحاب الشخصيات العظيمة كالإمام الحسين عليه السلام الذين يمثلون له عالماً من الأمان، وقدوات أنموذجية «وهكذا تتجسد في الفنان المبدع همومه وهمومعصره، ويستقطب قلقاً إنسانياً، فيتفاعل في داخله قلقه الذاتي، وقلق مجتمعه وأمته، وقلق إنساني عام»[٤٣].

إن قنوات الاتصال بين الشاعر والمتلقي مهيأة تماما في مراثي الإمام الحسين عليه السلام من خلال اشتراكهما في هم واحد، ومأساة واحدة مما يخلق «تطابقاً بين محتوى الاتصال (موضوع الرثاء) ومحتوى العملية الإبداعية التي تتنقل نتائجها عن طريق العمل الفني المنجز»[٤٤]، ويبدوذلك واضحاً من خلال عنصر

المأساة في الحدث الحسيني، الذي يمثل عاملا مشتركا بين الشاعر والمتلقي مما يخلق جوا من التلاحم بين العمل المنتج والمستقبل، يقول السيد مسلم الحلي[٤٥] (من البسيط):

لقد مضيتَ وقد خلفتها مُثُلا بقين فينا مثال العز والعظمِ
دروس تضحية للمؤمنين بها إذا مضت أمم تلقى إلى أممِ

ويقول حسين علي الأعظمي[٤٦] (من الرمل):

دمه الذكرُ الذي ننشده كلما لاح صباحٌ ومساءُ

فقد حاول الشاعران أن يتكلما بلسان الجمع في إشارة إلى اشتراك الآخر -المتلقي- في الحزن، فالشاعر يحاول في أغلب الأحيان أن يكون أدبه جماعياً لم «ينظمه... لمجرد أنه الرأي السائد في جماعته، بل لأنه أحس هوإحساساً عنيفاً قاهراً بهذه العاطفة، وهذا الإحساس هوالذي أرغمه على أن ينتج أدبه»[٤٧]، وهذا يعني أنَّ الشاعر العراقي في رثائه الإمام الحسين عليه السلام يحمل بين جنباته هموم قطاعات واسعة من الناس تشترك كلها في الإيمان بعدالة القضية الحسينية، وهذا واضح في استعماله بكثرة لضمائر الجمع (نا، نحن).

ثانياً: الوظيفة الاجتماعية والأخلاقية:

لقد أكد عدد من النقاد أهمية العوامل الاجتماعية في إنتاج الأدب؛ هذه العوامل تتمثل عندهم بجملة من الأمور منها: الوضع الاقتصادي للمؤلف، والوضع المهني وطبقته الاجتماعية، ونظرته للتراث[٤٨].

ومن خلال تلك العوامل يمكن فهم الوظيفة الاجتماعية للأدب، وتفسير

أهدافه وغاياته.

وبخصوص مراثي الإمام الحسين عليه السلام، فإنه يصعب فهم عدد من الموضوعات التي يؤكد عليها الشعراء، ما لم يتم قهم العوامل الاجتماعية التي تؤثر في الشعراء، ومن تلك الموضوعات؛ دعوة الشعراء إلى أخذ الثأر والتحريض واستنهاض الإمام الثاني عشر على وجه الخصوص فبدون الرجوع إلى الخلفية الاجتماعية للشاعر، ومنابع ثقافته، واتجاهه العقائدي، لا يمكن إيجاد معنى منطقي يفسر تلك المفاهيم، لكن المتلقي المعين، والمقصود من قبل الشاعر قد لا يرى في الأمر مشكلة في فهم مثل تلك الدعوات، إذ إن الفهم المشترك بين الشاعر والمتلقي يساعد على إدامة عملية التواصل بينهما، محدثا تأثيرا وتأثرا بين الطرفين، مما انعكس على أن تكون المرثية عاملا مهما من عوامل توجيه الجماهير، وزيادة تفاعلهم مع الحدث الاجتماعي والسياسي.

ويمكن القول إن الوظيفة الاجتماعية لمراثي الإمام الحسين عليه السلام تتمثل في إبرازها لحقيقة الصراع بين الخير والشر، هذا الصراع الذي وجد مع وجود الإنسان، وسوف يستمر ما شاء الله له الاستمرار، ولكل طرف من طرفي هذا الصراع من يمثله، فالأبطال والشهداء والمضحين من أجل المبادئ الإنسانية، يمثلون الطرف الأول -الخير- أما الظالمون والأشرار، الذين يحاولون إعاقة مسيرة البشرية نحو الكمال، فإنهم يمثلون طرف الشر، هذا المعنى جسده الشعراء العراقيون في مراثيهم الحسينية، بشكل لا يقبل اللبس، فالحسين الذي جسَّد معالم الفضيلة كان رمزاً وبامتياز لمفاهيم الخير، فقد كان «أنموذجا لأفضل المزايا الهاشمية»[٤٩] فضلا عن إنه ابن بنت النبي صلى الله عليه وآله واقرب الناس إليه، وأكثرهم محبة له، أما يزيد

الذي لم يكن "نموذجا لأفضل المزايا الأموية، بل كان فيه الكثير من عيوب أسرته ولم يكن له من مناقبها المحمودة إلا القليل"[٥٠]، فكان يمثل طرف الشر.

كان هذا التقابل بين طرفي معركة كربلاء محورا مهما حاول الشعراء العراقيون في هذه الحقبة -موضوع الدراسة- استثماره في إبراز إن ذلك الصراع لم ينته ما زالت هناك نفوس خيرة وأخرى شريرة، ففي كل زمان حسينعليه السلام وفي كل مكان كربلاء.

يقول محمد صالح بحر العلوم[٥١] (من الطويل)

فجيعة يوم الطف تروي فصولها أصولُ حياةٍ طورها يتجددُ
وتضحية الحر الشهيد بنفسهِ شهادة حق باسمها الحقُّ ينشدُ

وقريب من هذا المعنى قول السيد محمد جمال الهاشمي[٥٢] (من الخفيف):

حادثٌ أفجعَ القرونَ فلا تنـ فكُّ من هول يومه تتبرمْ
هكذا سنة الزمان، فحق مستظام وظالم يتظلمْ

فالثورة التي أعلنها الإمام الحسينعليه السلام نجد صداها في أثناء الأيام، إلى الأبد، حينما يطل الشر برأسه بين الفينة والأخرى لتدمغه وتكبح جماحه، بقوة المبادئ التي استشهد من أجلها سيد الشهداءعليه السلام لتؤكد حقيقة غلبة الخير في آخر الأمر، يقول عبدالحميد السماوي[٥٣] (من الطويل):

سلي كيف أودى في أمية بغيها وكيف انطوى سلطانها المتوغلُ
وكيف تلاشى رمزها بعدما رنا إلى مجدها طرف من الدهر أحولُ
هوى صرحها الأعلى فأضحى بجنبه يرن من العدل الإلهي معولُ

فالشاعر يؤكد حتمية العدل الإلهي، كوظيفة اجتماعية أخلاقية فقد يمهل

الإله من تسول له نفسه الظلم والطغيان، لكنه لا يهملهم يعيثون في الأرض فساداً، فسرعان ما يفتك بهم ويجعلهم نسياً منسياً، بعكس الصالحين والخيرين، وقد كان ذلك من أهم الحقائق التي أكدها القرآن الكريم. والشاعر حينما يضع تلك الحقيقة نصب عينيه، ويوظفها فنيا، فإنما يعبر بذلك عن آمال الجماهير، ويرضي خواطرهم في الاقتصاص من الظالمين، فالشاعر في الرثاء الحسيني معبر عما يختلج في الذاكرة الجمعية للجمهور، إذ ليس من المبالغة القول إن الجمهور مدين للشاعر بوصفه الناطق باسمه، المعبر عن طموحه وقد ينصهر صوت الشاعر مع صوت الملايين منالشعب، حتى ليبدوالخطاب باسم الجماعة يخفي من ورائه هموم شعب بحاله، وفي إحدى مراثيه الحسينية يقول محمد صالح بحر العلوم معبرا عن تلك الحقيقة[٥٤]: (من الكامل)

أنا صورة الشعبِ الذي نفض الكرى ... عن مقلتيه وثار ليثا مرعبا
ناغيته طفلا وصنت لواءَهُ ... كهلا وارفع فيه رأسي أشيبا
وأقمت في بيتي تجاربَ أمسهِ ... عينا تقيه تصدّعا وتشعبا
البيتُ بيتي والحفيظةُ في دمي ... والشعبُ قوّتي التي لن تغلبا

فالشاعر يظهر إيمانه بالشعب كقوة لا تغلب، وهوقادر على تحقيق ما يصبوإليه «لذا فإن الشاعر حاول أن يجعل من تجربته الذاتية تجربة جماعية تعبر عن تطلعات المجموع وهمومهم»[٥٥]، وهذا الارتباط بين (أنا) الشاعر و(النحن) وتعبيره عن هموم الطبقات المحرومة كان حافزا مهما للطرفين: الشاعر والجمهور في إدامة التفاعل في ظل خيمة القضية الحسينية، فكان ذلك سببا وراء هذا الكم الهائل من المراثي، وإذا كان أحد الباحثين يقول أنه لم يعلم أنَّ "شاعراً عربياً حتى اليوم لم

يعرض في شعره –ولو جزئياً– إلى الحسين وثورته إلا نادراً"[٥٦]، فكيف بالشعراء العراقيين الذين حلَّت بين ظهرانيهم فاجعة كربلاء، وسالت تلك الدماء الزكية على أرضهم، لذلك فقد تميز بالاصالة، وأصالة المرثية الحسينية لا تعني التفرد المطلق في الرثاء، بل تعني شدة الولاء، وصدق الإخلاص للقضية التي آمن بها الشعراء الحسينيون، فالفكرةالأصيلة «لا تعني أن أحداً لم يفكر فيها أبدا من قبل...»[٥٧]، إذ إن الأصالة في الإبداع نسبية ومشروطة بظروفها التاريخية والاجتماعية، فشخصية الشاعر "تعيش في بيئة ذات مضمون ثقافي تاريخي اجتماعي، تتبادل معها الأثر والتأثير بطريقة دينامية متفاعلة من خلال إطار نوعي اكتسب مضمونه منالخارج"[٥٨]، ترى ذلك واضحاً في الأثر الاجتماعي الاجتماعي التي تتسم به مفردات المراثي الحسينية، إذ إن العلاقات الاجتماعية بين الشاعر ومعارفه تأثرت بقضية استشهاد الإمامعليه السلام، فاصطبغت المراثي بين الأصدقاء بالطابع الحسيني، فالفن يعد مجهودا مشرقا لأجيال من المبدعين الذين يتعاقبون جيلا بعد جيل، يؤثرون في المجتمع، ويؤثر المجتمع فيهم، وفي هذا التفاعل بين الطرفين كمن سر بقاء الادب وديمومته.

وهذا السيد محمد سعيد الحبوبي يتأثر بوفاة أحد أصدقائه[٥٩]، فيرثيه بمرثاة أقرب إلى رثاء الإمام الحسينعليه السلام يقول[٦٠]: (من الكامل)

كان المحرم مخبرا فاريتنا ... يا جعفر فيه الحسين قتيلا
فكأن جسمك جسمه لكنه ... كان العفير وكنت أنت غسيلا
وكأن راسك راسه لولم يكن ... عن منكبيه مميزا مفصولا
وجبينك الوضاح مثل جبينه ... بلجاً وليس كمثله تجديلا

وحملت أنت مشرفا أيدي الورى وثوى بنعش لم يكن محمولا
إن تنأ عنا راحلا كرحيله فلرب سجاد تركت عليلا

فقد كان الحدث الحسيني حاضراً في ذهن الشاعر، لم يغب عن باله، إذ إنه يراه مجسداً في كل ما يثير أشجانه ولواعجه إن هذا التماهي بين حزن الشاعر وهمومه الاجتماعية وحزنه على الإمام الحسين عليه السلام يؤكد الأثر العميق للأبعاد الاجتماعية في الحزن على الإمام الحسين عليه السلام، وهوأمر يكاد يكون طبيعيا «فالأعمال الفنية تتألف دائما من موضوعات لها دلالة اجتماعية، وللألفاظ والأنغام والأشكال ارتباطات انفعالية تتسم بأنها اجتماعية»[٦١]، ويبدوأن رؤية الشعراء لخلود المأساة الحسينية كانت تعود في أحوال كثيرة إلى عوامل اجتماعية يمكن تفسيرها «في التطابق الذي يوجد بين الموضوعات الرئيسة والاجتماعية والعاطفية والقيم والنماذج التي يصورها العمل الأدبي، وبين القيم والنماذج المتمثلة تمثيلا قويا عند الجمهور المتلقي»[٦٢].

يقول السيد مصطفى جمال الدين[٦٣]: (من الكامل)

مولاي... رزؤك خالد أبدا كخلود هذا الفتح في الحقبِ

إن أحزان الشعراء لا تنفصل عن واقعهم الاجتماعي، لذلك فقد وجد الشعراء العراقيون في قضية الإمام الحسين عليه السلام إطاراً يغلفون به أحزانهم، ويبثّون شكواهم، فالشاعر يستجيب لنداء ذاته الكئيبة على الإمام الحسين عليه السلام بقدر ما يستجيب لضغوط العوامل الاجتماعية المؤثرة عليه، فالشاعر-أي شاعر «ابن المجتمع، مصنوع بوجدانه ومضغوط بعناصره في النواميس والأعراف

والقيم، ولكن الشاعر الحقيقي هوابن ذاته أيضاً»[٦٤].

يقول محمد حسن أبوالمحاسن[٦٥]: (من البسيط)

دنيا لآل رسول الله ما اتسقتْ أنى تؤملها تصفوتتسقُ

فالشاعر في حضرة الإمام الحسين عليه السلام -وأهل بيته- وجد الظلم وغياب العدل، قد أصبح حداً وغاية لما في المجتمع من ظلم وقسوة.

لكن الشعراء على الرغم من أحزانهم حاولوا التأسي والصبر إقتداءً بسيد الشهداء، فلم تكن المراثي حزنا كلها، إنما وجد الشعراء إن الظلم والحيف الذي للحق بالإمام الحسين عليه السلام كان تقابله الشجاعة بأزهى صورها ومن ذلك التناظر استحث الشعراء قرائحهم لخلق حالة من الاستنفار مشفوعة بالحزن، ليكون رثاء الإمام الحسين عليه السلام عبرة واعتبار لكل من يؤمن بعدالة قضيته، يقول حسين علي الأعظمي (من البسيط)[٦٦]:

رأى الحسين إلى الدنيا التي غدرت به وعاثت بآل البيت في نكدِ
فودع الأهل والدنيا وصال على أعدائه مستميتا صولة الأسدِ

إن قبول الحسين عليه السلام لواقع الحال المفروض، وبتلك النفس الأبية، وتضحيته بنفسه وأصحابه لهودرس نموذجي لا يمحى أثره، ولا ينضبمفعوله ومثل «هذا الشعر ليس تقريراً لواقع الحال فقط، وإنما هودعوة لما يجب أن يكون، ولما يريده الشاعر أن يكون الأمر عليه بلا شك»[٦٧]، لذلك يقول الشاعر نفسه -الأعظمي- في المرثية ذاتها[٦٨].

إن مت احييتَ آمالا موحدةً وأمةً مالها في الدهر من بددِ

فقد قرن الشاعر بين استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وإحياء الأمل في النفوس

في إنقاذ الأمة من الظلم، ولا شك في أن ذلك هدف اجتماعي مهم، حاول الشاعر الالتفات إليه، فحساسيته بوصفه فنانا «تمكنه من الالتفات إلى ما لا يلتفت إليه الجمهور، كما تمكنه من الكشف عن جوانب إنسانية لا تبرز عادة إلى مستوى الوعي العادي»[٦٩] ومن القيم التي أكد عليها الشاعر؛ قيمة الصبر، كقيمة ارتبطت بالواقع الاجتماعي للعراق في النصف الأول من القرن العشرين فالتقلبات السياسية وما تبعها من عدم استقرار الأحوال المادية والمعاشية، وما رافق ذلك هيمنة أجنبية، فرض على الشعراء أن يروا في الصبر شراً لا بد من قبوله، والصبر من الأمور الحميدة عند العرب، وقد قيل "خير الأمور مغبة الصبر"[٧٠]، فالشاعر في الرثاء الحسيني يتأسى بصبر الحسين عليه السلام، ثم إنه لا يرى خياراً غير الصبر لما هوفيه، يقول يعقوب الحاج جعفر الحلي[٧١]: (من الطويل)

ارى كـلَّ رزءٍ يجملُ الصبرُ عنده وما الصبر في رزء الحسين جميلُ

فالمعنى الضمني في البيت يؤكد على تهوين الصبر وقبوله فللإنسان أن يصبر على ما ينوبه، لكنه مع نائبة الحسين عليه السلام قد يتعذر عليه الصبر، وقد يظهر الشاعر اهتمامه بقيمة الصبر على لسان حال الإمام الحسين عليه السلام، وهويقوي من عزيمة أهل بيته، يقول يعقوب الحاج جعفر الحلي في مرثيةأخرى[٧٢]: (من الطويل)

فقال اصـبروا فـاللهُ خـيرُ خليفـةٍ عليكم وأبـقـى بـل أبـرّ وأرفـــقُ

هنا تبين عاقبة الصبر في توجيه الإمام لأهل بيته، فالصابرون على ما يريد الله لا بد إنهم سيجازون الثواب العظيم، وهذا المعنى طالما أكّد عليه القرآن الكريم.

وقد يذكر الشاعر صبر أصحاب الحسين عليه السلام في ساحةالمعركة، لما في ذلك من

قيمة توجيهية للشباب المسلم، يقول محمد حسن أبو المحاسن[٧٣]: (من البسيط)

والصبر أثبت في يوم الوغى حلقا إذا تطاير من وقع الضبا الحلقُ
رسوا كأنهم هضب بمعتركٍ ضنكٌ عواصفه بالموت تختفقُ
ولابسين ثياب النقع ضافية كأن نقع المذاكي الوشي والسرقُ[٧٤]

فقد أكد الشاعر صعوبة الصبر في ساحات القتال، وكأنه يهيب بأبناء جلدته أن يجعلوا الصبر وسيلة لتحقيق ما يصبون إليه.

ويقول حسين علي الأعظمي[٧٥] (من البسيط):

ألهمْتَنا الصبرَ في الأحداث وهوكما تــراه في كـل ضيـق خـير مستندِ

فالشاعر يؤكد إن أهم ما في الثورة الحسينية هو صبر الإمام الذي أصبح درسا لكل الصابرين والمثابرين من أجل تحصيل مراضيهم.

ومن القيم الأخرى التي أكد عليها الشعراء: العدل، فقد حاول الشعراء نقد الواقع الاجتماعي من خلال تصويرهم لغياب العدل فيه، يقول الشاعر إبراهيم الوائلي[٧٦]: (من البسيط)

صهر النبوةِ إن العدلَ قد عبثتْ بـه المطـامـعُ واجتـاحـتـه أهــواءُ

فالإحساس بالظلم والإحباط نتيجة غياب العدل دفع الشاعر إلى التوجه إلى الإمام الحسين عليه السلام شاكياً له حال الأمة، ولا يخفى ما في البيت من قيمة نقدية لاذعة للمجتمع، فإن إنسانية أي مجتمع تقاس بمدى توفر العدل بين أفراده، فإن غاب عنه العدل فإنه سيصبح لا محالة مجتمعاً يفرق بين الناس فيتفشى الظلم وتسود الجاهلية.

أما قيمة الشجاعة فقد اكتسبت مشروعيتها وأهميتها في مراثي الإمام

الحسين عليه السلام بوصفها أهم ما يرغب العربي أن يتحلى به من صفات، ففي مجتمع -كالمجتمع العراقي- وقد تجاذبته الأحداث السياسية، والتيارات الثقافية والفكرية، لا بد أن تكون الشجاعة هي الحل الأمثل لأغلب مشكلاته؛ هذه الشجاعة يمكن أن تسمى شجاعة الحق، إذ إنها لسيت موجهة للانتقام من أحد بل «هي قيمة تكتسب اجتماعيا، وهي تقدم فكري، بقدر ما هي تقدم أخلاقي، وهي فضيلة اجتماعية في روحها»[٧٧]، فلا غرابة أن يتوجه الشعراء إلى رحاب الحسين عليه السلام مشيدين بشجاعته وشجاعة أصحابه، مستنهضين شباب الأمة، ليبثون فيهم الروح المعنوية التي من خلالها يثبت الشعب وجوده ويحقق هويته بعد عقود طويلة من الاستلاب وغياب الشخصية.

يقول محمد جواد الغبان[٧٨]: (من الكامل)

فأعد أبا الشهداء نهضتك التي ... قد قمت فيها بالفضيلة صادعا
لترد للنشئ الغرير رشاده ... وله تكون عن الغواية صادعا
واهتف بهم: جدوا بحزم واعملوا ... (أن ليس للإنسان إلا ما سعى)

فقد أكد الشاعر أهمية العزم لتحقيق المطالب والذي لا يكتمل من دون أن يكون الإنسان شجاعاً، لذلك راح الشاعر يخاطب الإمام أبا عبدالله بأن يلهم الشباب مبادئ ثورته وشيء من شجاعته، ليوفقوا في مساعيهم بغية بناء أوطانهم. إن هذه الشجاعة المستوحاة من وقفة الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء حاول الشعراء من خلالها رسم النموذج القدوة لما يجب أن يكون عليه المرء ليكون دوره فاعلاً في مجتمعه.

وأكد الشعراء عدم اهابة الموت، لأن الموتَ أجل عند الله إذ لا يموت الإنسان

إلا بيومه الذي قرره الله، ولا دخل للإنسان في ذلك، فالقضاء مقدر، والإقدام والشجاعة لا علاقة بها بأجل الإنسان، فكم مقاتل مغامر عاش طويلاً، وكم من خائف مات في أتفه الأسباب، لذلك فإن شعراء المراثي طالما أكدوا على هذه الحقيقة من خلال تصويرهم لاستشهاد الإمام عليه السلام الذي كان نتيجة للإرادة الإلهية، ولم يمت الإمام عليه السلام غلبةً، من ذلك قول السيد مهدي الطالقاني[٧٩]: (من الكامل)

فمضى إلى الحرب الزبون مجرِّدا عضبا على حزَّ النحورمعوَّدا

حتى إذا شاء الإله بأن يرى ذاك الهمام مجدلاً بين العدى
نادته داعية القضاء فخر عن ظهر الجواد ملبياً ذاك الندا

فقد أكد الشاعر أَن الإمام الحسين عليه السلام حينما سقط شهيدا فإنما كان ذلك لأمر الله وإرادته، وليس لأسباب خاصة بظروف المعركة، وهذا درس لمن يخافون الإقدام، وقد قالت العرب «إن الشجاعة وقاية، والجبن مقتلة، ولذلك من يقتل مدبراً أكثر من يقتل مقبلاً»[٨٠](من الطويل):

فهيا شبابَ العصرِ وانهج كنهجهم فإن حسيناً لا يريدُ لك اللطما
أليس أبى الضيم ضحى بنفسهِ وقد علَّم الناس الشجاعة والعزما

فقد أكد الشاعر أهمية الشجاعة في تغير الواقع من خلال تأكيده على الإقتداء بثورة الإمام الحسين عليه السلام التي تأبى الضعف والوهن، إذ علمت الإنسانية كيف تصبر لكي تنتصر ومما يرتبط بالشجاعة، مسألة أخذ الثأر، وذلك باستنهاض الأئمة لينتصفوا ممن ظلمهم، لذلك لم يعد الطلب الثأر يتجه لتلبية غايات محدودة وضيقة، كما كان قبل الإسلام[٨١]، بل أصبح في مراثي الإمام الحسين عليه السلام يتجه

إلى الاقتصاص من أعداء الإسلام الماثلين في كل مكان وزمان، يقول إبراهيم الوائلي[٨٢] مخاطبا الإمام الحسين عليه السلام: (من البسيط)

قل للكتائب تنهض من مراقدها ... فقد خلت من صهيل الخيل بيداءُ
ولب للحق يا ابن الحق دعوته ... فقد عراه من التضليل إعياءُ
كتيبة الله لم تهدأ على تـرة ... أوتستجب للتغاضي وهي خرساءُ

هذه الأبيات تعبر عن حاجة الجماهيرإلى من يأخذ بيدها لإعادة الأمور إلى نصابها، وقد وجد الشاعر بأن القيادة الحقة، هي القيادة الإلهية المتمثلة في أئمة أهل البيت عليهم السلام، فهم القادة وهم الأمناء على المسلمين ويقول عبدالمنعم الفرطوسي مستنهضاً الإمام المهدي عجل الله فرجه[٨٣]: (من السريع)

فاظهر فدتك النفس من غائب ... لأنفس ملّت من الانتظارْ

إن مثل هذه الدعوات تعبر عن إيمان الشعراء بأن الأئمة حاضرون بينهم، وتشير إلى وطأة الواقع الذي لا يمكن تخفيفها إلا بظهور الإمام المهدي، وتؤكد على تفاعل الشاعر مع مشكلات عصره لأن «المشكلات الاجتماعية الحيوية للعصر الذي بعيش فيه الفنان هي التي تحفزه على الإنتاج الفني»[٨٤] وقد حاول الشعراء إبراز حقيقة إن ما اصاب الأمة كان بفعل إهمالها لمبادئ الإسلام التي جسدها بشكل واضح الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء يقول مظهر اطميش[٨٥]: (من مجزوء الرمل)

إنها ذكرى تسامت ... بالإبا معنى ومبنى
إنها ذكرى صراع ... هد للطغيان حصنا

إنها الذكرى التي ... من أجلها نحن اجتمعنا

ما اجتمعنا لبكاء ... فالبكاء يورث حزنا
كم لنا فيها عظات ... ليتنا فيها اتعظنا
وترسمنا طريقاً ... خطَّه السبط إلينا
لعرفنا كيف نبني ... وطننا فيه خلقنا
وعلمنا كيف ننشئ ... أمة المجد لنهنا

فالشاعر يؤكد أن ما يوجد من سلبيات يمكن أن يعزى إلى إهمال دروس الثورة الحسينية، وقد جمع الشاعر بين الشكوى والتحسر على ما وصل إليه واقع الأمة جراء إهمالها لذلك التاريخ المجيد الذي لم يستثمره أبناء العصر من أجل بناء مجتمع صحيح، وقريب من هذا المعنى قول محمد جواد الغبان[٨٦]: (من الكامل)

إيهٍ أبا الشهداءِ دعوة صارخ ... ينعى إليك عُلا ومجدا ضائعا
لوكنت تلقي نظرةً في وضعنا ... لرأيت منه ما يردك جازعا
نشء غرير لم يسرْ نحوالعلى ... الا تقهقر للضلالةِ راجعا
نبذ التآزرَ والتكاتفَمذْ غداال ... عدوان والخذلان فيه شائعا
وجنت عليه مبادئ هدامةٌ ... نشروا بهن مخازياوفضائعا
كم بائع لضميرهِ وضميرُهُ ... يدعوبحزن ما أخسك بائعا

فهذه الأبيات تدل بوضوح على نظرة الشاعر النقدية لمجتمعه والحال الذي وصل إليه الشباب الذي ترك الإقتداء بعظماء المسلمين وتمسك بتلك الثقافات البعيدة عن الواقع العراقي -بحسب ما يراه الشاعر- فهذه شكوى اكثر بقدر ما تكون نقد لاذع من هنا يمكن القول بأن شاعر المراثي حاول تعرية الواقع وإظهاره في صورته الحقيقية، وإبراز ما فيه من مساوئ وعيوب.

ويقول عبدالحميد السماوي[٨٧]: (من الكامل)

ما كنتُ أحسبُ والمقدَّرُ كائنٌ إن العقول تصاب بالإغماءِ

فالشاعر يحاول أن يشخص الداء، وهوعنده يتمثل بتخلف طرق التفكير، فالواقع «مشلول بالتخلف والركود، واقع يعاني من هبوط مادي وروحي يكاد يعم شؤون الحياة جميعاً»[٨٨].

إن هؤلاء الشعراء الذين نظروا للواقع العراقي آنذاك بعيون نقدية من خلال تشخيصهم لما يعاني منه المجتمع ومن خلال الشكوى واستنهاض الأئمة، فإنهم يؤكدون جملة أمور: منها حاجة المجتمع إلى قيادة تنصف المظلوم وتردع الظالم، مما دفعهم إلى تأكيد حضور شخصية الإمام المهدي في أغلب المراثي، لأن ظهوره يمثل الثورة التي يكون معها الحل لأزمات الواقع الاجتماعية والأخلاقية، وهذا الأمر يشير إلى أن الشاعر الحسيني حريص على سلامة المجتمع حرصاً نابعاً من عقيدة دينية راسخة وإيمان ثابت بأن ثورة الإمام الحسين عليه السلام تمثل المعادل الموضوعي، لثورة النبي محمد صلى الله عليه وآله حينما صدح بأمر الله محرراً العرب من جاهليتهم ووثنيتهم، لذلك يقول مظهر اطميش[٨٩]: (من الكامل)

أسليل بيت لايزال كتابهم سفراً جليلا للبرية هاديا
أبقيت للأجيال درساً خالدا ما زال فيه فم الأعاصر شاديا

ويقول طالب الحيدري[٩٠]: (من المتقارب)

حريٌّ بمثلك أن يخلدا وأن يصبحَ البطلَ المفردا
ضربت لنا مَثلا في الإباءِ يعلمنا النبل والسؤددا
تعلمنا كيف يحيى وكيف يموت الفتى شامخا اصيدا

فمع الحسين عليه السلام يكتسب الوجود معناه، فالإيمان بقضية ما يعني العيش من أجل تلك القضية، والاستعداد للموت والتضحية من أجلها، فلا بد من وجود معنى «فاللامعنى يحرم الحياة من الامتلاء وبالتالي فهويعادل المرض، فالمعنى يجعل الكثير من الأشياء ممكنة التحمل، وربما يجعل كل شيء محتملا...»[٩١]، يقول محمد مهدي الجواهري[٩٢]: (من الطويل)

هي النفس تأبى أن تـذِلَّ وتُقهـرا ... ترى الموت من صبر على الضيم ايسرا
وتختار محمودا من الذكر خالـداً ... على العيش مذموم المغبة منكـرا
مشى ابـن علي مشية الليث مخدرا ... تحدته في الغاب الذئاب فاصحـرا

ثم يقول في خاتمة القصيدة[٩٣]: (من الطويل)

أقـول لا قـوام مضـوا في مصابه ... يسومونه التحريف حتى تغيَّرا
دعـوا روعـة التاريخ تـأخذْ محلها ... ولا تجـهـدوا آيـاتـه أن تحـــَّورا
وخـلـوا لـسـان الـدهـر ينطقْفإنَّه ... بليغ إذا مـا حـاول النـطـق عـبَّرا

فمواجهة لحياة لا تتأتى إلا لمن يتأسى بعظماء الرجال ومن الصعوبات التي تخلق الهموم في النفس والإرادة في إثبات الذات ينشأ التوتر الفعال «التوتر الذي ينشأ عن الألم الذي ينبثق بدوره عن عدم الانسجام بين الإنسان والعالم، هذا التوتر قدم لنا شخصيات كبيرة من الإبداع»[٩٤]، والأبيات تتضمن في دلالاتها مسوغاتها التوجيهية من خلال تأكيد الشاعر على الإفادة من دروس التاريخ، وهذا يؤكد أن نصوص المراثي في أغلب الأحوال، توظف من أجل المتلقي، وتوجه تبعاً لذلك.ولابد من الاشارة الى ان الشعر العراقي عامة في النصف الاول من القرن العشرين قد اتجه الى معالجة الجوانب الاجتماعية كردة فعل على

تركة القرن التاسع عشر[٩٥] مما كان واضحا في النصوص المتقدمة فقد اظهرت اهتمام شعراء المراثي الحسينية بمشكلات مجتمعهم، فقد طغى الاهتمام بالجانب الاصلاحي والتوجيهي على الاهتمام بالجوانب الفنية، وحضي المضمون بالعناية الاولى على حساب الاهتمام باللغة، لذا كثر استعمال صيغ الامر للمطالبة بالاصلاح والتغيير مما جعل عددا من تلك المراثي تميل الى النثرية.

ثالثاً: الوظيفة السياسية:

تميز الشعر العراقي في النصف الأول من القرن العشرين باهتمامه الكبير بقضايا السياسة ومشاكلها، ولاسيما ما كان بعد اعلان الدستور العثماني ١٩٠٨، فقد كانت العوامل السياسية عاملاًمهماً في نهضة الأدب العراقي، بخلاف الأدب في الأقطار العربية الأخرى، إذ كانت العوامل الثقافية الفاعل الأساسي في نهضتها الأدبية[٩٦]، ويبدوأن تنامي الوعي السياسي في العراق جعل الشاعر العراقي يعيش في قلب الأحداث، وينغمس فيها «فالأديب يتأثر بالحياة الخارجية السائدة في بيئته القائمة في مجتمعه، وهويستمد أدبه من حياة هذا المجتمع»[٩٧]، ولذلك ارتفع الشعر العراقي في الحقبة موضوع الدراسة بموضوعاته وأهدافه وابتعد عن المبالغات، ورصف الألفاظ، وانتقاء العبارات، وبرز الصدق في الدفاع عن قضايا الأمـة[٩٨]، وانشغل الشعراء في معالجة القضايا السياسية، كالمطالبة بالاستقلال، والحرية وعلاقة المواطن بالسلطة، والديمقراطية، وقضية فلسطين، والوحدة العربية[٩٩]، ويدل هذا على الوعي السياسي للشاعر العراقي في تلك

الحقبة، وشعوره بالمسؤولية، ويدل أيضا على وعيهم بـ «دور الشعر وهدفه باعتباره (كذا) سلاحاً يقارعون به الظلم، ويحثون به على التقدم، ونيل الآمـال»[١٠٠].

ولم تكن مراثي الإمـام الحسين عليه السلام في هذه الحقبة، بعيدة عن السياسة وصراعاتها، فقد رافـق الشعر الحسيني العراقي الحـدث السياسي الداخلي والخارجي، وصار الشاعر يعالج من ضمن ما يعالجه في المرثية، قضايا الوطن والعروبة والقومية، إذ إن الظروف السياسية التي مرت بالعراق والأمة العربية ألقت بثقلها على الشعراء، مما دفعهم إلى "الحنين الطاغي إلى الماضي والتأمل الطويل في أحداثه واسترجاع لنغمات ذلك المجد المندثر، والإصرار على العيش في أجـواء الفخر العربي وأمجـاد الأمـة، وما قدمته في قضايا الحكم والثقافة والحضارة"[١٠١]، فالماضي وسيلة ناجحة لبث روح التضحية والشجاعة والإقدام في نفوس الجماهير، وكان الشاعر في رثاء الإمام الحسين عليه السلام يحاول أن يوظف مبادئ الثورة الحسينيَّة، والعمل على غرس تلك المبادئ، فإنَّ الإمام الحسين عليه السلام رمز البطولة والتضحية والفداء، وخلاصة الشجاعة والبأس ومعلم الثورات الحرَّة جميعاً، يقول السيد محمود الحبوبي[١٠٢]: (من الطويل)

دم العـز أبقى أيَّ ذكرى لمن دعى ... وآن لنا يا قوم أن نعيَ الذكـرى
فنقفوا خطى أحرارنـا في جهادهم ... ونقرأ من تاريخنا الأسطر الحمـرا
وندفع عنا الـشرَّ حـاط شعوبنـا ... ومن نحن بين الناس أن نقبل الشرا

إنَّ هذه النبرة الجديدة في الخطاب الشعري العراقي في النصف الأول من القرن العشرين تشير بوضوح إلى وعي تام بخطورة المرحلة، وتؤشر ميلاد قضايا أدبية جديدة فرضت نفسها على الواقع الأدبي، فإذا كان الشعراء العراقيون في

القرن التاسع عشر «لم يجددوا في شيء ولم يخرجوا عن نطاق الشعر القديم»[١٠٣]، فيما يتعلق بموضوعات الشعر، فإنَّ شعراء القرن العشرين كان همهم الشاغل الأحداث التي عصفت ببلدهم، فكانت مبادئ الثورة الحسينيَّة وأبعادها السياسية التي تمثَّلها الشعراء العراقيون بوصفها قيماً أنموذجيَّة، حاضرة في كل آن في أذهانهم، فضلاً عن أنَّها تمثل ماضياً إيجابياً محفزاً للأجيال للثورة على كل أشكال العبوديَّة، يقول حسين علي الأعظمي[١٠٤]: (من الرمل)

دمـــهُ في كـــل جـيـل ثـــورةٌ ... تـصرع الـظـلـم ولـلـحق سـواءُ
دمـــهُ رمـــز ضـحـايـا أمـــةٍ ... حـــرَّة فـيـهـا حـيـاة وإبـــاءُ
دمـــهُ الـذكـر الـــذي نـنـشـدهُ ... كـلَّـما لاح صـبـاح ومـسـاءُ
دمـــهُ الـبـعـث لمـوتـى أمـــةٍ ... حـاربـتـهـا مـن بـنـيـهـا الـلـؤماءُ

فقد وجد الشاعر تضحية الإمام الحسين عليه السلام كفيلة بأن تكون خير درس لأمة تنشد الثورة لتصرع بها الظلم، ولتحقق حياة العزَّة والإباء، التي أرسى دعائمها الإمام الحسين عليه السلام بوقفته في كربلاء، فمما لا شك فيه «انَّ الشاعر وهويستخدم الحالة التراثية التي يجدها مناسبة لعرض أفكاره وإبرازها يستند في ذلك إلى قناعة محددة متصلة الوشائج بقيم اجتماعية وسياسية وثقافية على نحويجعل الحالة التراثية تحتوي هذه الأفكار، وتعبر عنها في النص الشعري الذي يبدعه»[١٠٥]، ففي إحدى مراثي الشاعر محمد صالح بحر العلوم الحسينيَّة يتخلَّص الشاعر إلى ما يشبه التحذير من مكائد الاستعمار والهيمنة الأجنبيَّة التي استمرَّت جاثمة على العراق، حتى بعد إعلان الحكم الوطني، يقول[١٠٦]: (من الطويل)

وكونـوا كما كان الحسيـن وصحبه ... مصابيح خيـر للجماهير توقـدُ

وصونوا حقوق الشعب من كل ماردٍ ... على الشعب في طغيانه يتمرَّدُ
ولا تثقوا من فاتح بتعهدٍ ... فما للغزاة الفاتحين تعهّدُ
ولا تقبلوا بعد التجارب توبةً ... لطاغية، تاريخ عَهْدَيْهِ أسودُ
ثلاثون عاماً-وهي عمرٌ لأمةٍ ... تمر وهذا الشعب فيها مصفَّدُ[١٠٧]
ثلاثون عاماً-كل ثانية بها ... تعادل قرناً ينقضي ويجدَّدُ
تفاقمت الأرزاء من كل جانبٍ ... علينا وكل بالفناء مهدِّدُ

إنَّ هذا النفس الثوري، وهذه الصرخة المدويَّة التي تضمنتها مرثيَّة بحر العلوم، هي دليل واضح على أنَّ الأدب ليس ببعيد عن السياسة، ومشاكل المجتمع، فالشاعر ينعى حال العراق في الحقبة ١٩١٧-١٩٤٧ إلى الحد الذي شعر فيه بأنَّ الفناء يهدد الجميع إن استمرَّت سياسة البلاد على ما هي عليه آنذاك، مما يشير إلى أنه «كلما اشتدَّت صلة الأديب بمشكلات الشعب، وشاركه شعوره، وأحسَّ بآلامه وأحاسيسه كان أقدر على تلمّس العلل وحل مشكلاته»[١٠٨]، والحل عند بحر العلوم يتمثَّل في الاقتداء بالإمام الحسين عليه السلام والسير على النهج الذي اختطَّه في محاربة الطغاة.

ويؤكد عبدالغني الخضري أنَّ الاحتلال والفرقة، والتهاون في الدفاع عن الوطن لم تكن لتحصل لو تمسَّك الجميع بنهج الإمام عليه السلام في إشارة إلى تكامل ذلك النهج، وحيويته في العصور كلها، يقول[١٠٩]: (من الطويل)

فلو أننا سرنا على ضوء نهجهِ ... لعادت يد الباغي على أرضنا صفرا
وعاد الذي غلَّت يداه بحسرةٍ ... وما كان يوماً بالمواعيد مغترا
وعدنا يداً لم نفترق لملمةٍ ... تشيع على الآفاق لامعة غرّا

نذب عـن الأوطـان من أرض يعرب وما وهبـت يوماً لأعدائها شبرا

وفي مرثيَّة أخرى، يؤكد الشاعر نفسه هذا المعنى، فيقول[١١٠]: (من الوافر)

فـلـوإنّـا بإخـلاص بذلنـــا كبذل السبـــط أصحـاباً وآلا
لعاد الكافـــر الباغي طريـداً ولم يسلـب لنـا حتى العقالا
ولم تذهب فلسطيـــن جبـاراً ولا ملك لغيـر الـعُـرْب طـالا

فقد وجد الشاعر كل المشاكل التي تعانيها الأمَّـة من تفرقة، وتـشرذم، واحتلال، كانت من جرّاء تضييع أبنائها مبادئ الإمام الحسين عليه السلام، وقد تكلَّم الشاعر بحسرة حينما استعمل الأداة (لو) في إشارة إلى شعوره بالخيبة والندم على ما أصاب هذه الأمة، ثمَّ انَّ الشاعر في المرثيتين تحدَّث بضمير الجماعة (نا) مما يعني صدق إخلاصه وانتمائه إلى قضايا أمته العربيَّة، وابتعاده عن النظرة القطريَّة الضيقة، فالشاعر «كلما استطاع... تجاوز أنانيته الفردية استطاع تخطي حالته الفردية، وضياعه إلى حالة الالتحام بالمجتمع والعصر»[١١١].

والملاحظ على أغلب المراثي الحسينيَّة في الحقبة موضوع الدراسة، التي عالجت الواقع السياسي أنَّ الشعراء كانوا يرون في ثورة الحسين عليه السلام ثورة رابحة بحساباتها المعنويَّة، على الرغم من أنها انتهت بمصرع سيد الشهداء عليه السلام وأهل بيته، لذلك انطلق هؤلاء الشعراء في التعامل مع ذلك الحدث بوصفه درساً مثالياً للنجاح في حل مشاكل الإنسان العربي، وتاريخاً مشرقاً، يمكن أن يزرع في الإنسان مواقف التحدي والرفض، ويشد من عزيمته، يقول طالب الحيدري[١١٢]: (من الطويل)

كفى ذلّة أن يخضع العُرْب للعدى وأن يستطيع الناهضون تصبّرا

وقد يصل الأمـر بالشاعر إلى رفض كل أنـواع الحـزن من أجل مواجهة

التحديات، فالغد سيكون مشرقاً بالتحدي، لتكتسب النفوس القوة والمنعة، لذلك رفض عدد من الشعراء تصوير الإمام الحسين عليه السلام بموقف الاستعطاف والإشفاق، فهوبطل تحدّى فناضل، وقاتل فاستشهد.

إنَّ الحدث الحسيني كان غذاءً ودافعاً مهماً في نظم المرثيَّة، فمن خلال ذلك الحدث يصب الشاعر همومه المكبوتة، بوساطة المعاني التي يختارها لقصيدته، محاولاً استدعاء التأريخ، وإحضاره من أجل تشخيصه، ونقله من الذاكرة إلى الممارسة، لتؤدي القصيدة دورها في التوظيف السياسي، يقول عباس الملا علي[١١٣]: (من الخفيف)

قطرة من دم الحسين تنادي ... في سماء الدنا بصوت جهارا
أمة العرب ها أنا فوقكم ... حمراء قد زحت عن جبيني الستارا
كلّ صبح وكلّ عصر أريكمْ ... كيف تبقى الدماء دوماً شعارا
فالبسوها طرية فهي أزهى ... من دم الكرم أن تعودوا سكارى
وسلاف النجيع أشهى سُلافاً ... ينبت العز أويعيد انتصارا
وقراع السيوف أرخم جرْساً ... من قراع الدفوف ليلاً نهارا
خلق الشهم للمعالي خدينا ... مثلما خادن الغوي العذارى
امسحوا الطرف وانظروا لي طويلاً ... قطرة تملأ السماء احمرارا
كم أنادي وأرسل اللفظ نارا ... يا بني يعرب بداراً بدارا

فالشاعر تكلَّم بلسان حال قطرة من دم الحسين عليه السلام، ليكون الكلام أكثر تأثيراً، وهذا التقمص يعبر عن إبداع تكمن خلفه عاطفة ثائرة رافضة لكل أنواع الظلم، والشاعر «ينقلها -أي العاطفة- من فرد واحد أحسَّ بها أولاً إلى آخرين كثيرين يجعلهم الفن يشاركونه عاطفته»[١١٤].

وقريب من ذلك قول أحمد الوائلي في إحدى مراثيه الحسينيّة، وقد انعكست الأحداث السياسية والاجتماعية على مضامين مرثيته، فراح من خلال المزاوجة بين الغرض الأساسي للمرثيَّة، وتلك الأحداث، يستمد المسوِّغات التي تدفع إلى استنهاض الشباب المسلم لرفض الواقع السياسي المتردي، يقول[١١٥]: (من الخفيف)

يا دماً شابت الليالي عليه ... وهو للآن في الرمال جديدُ
يحمل الطف والحسين حساماً ... كلَّما مرَّ بالوجود يزيدُ
وإذا عرَّس الخنوع بجيلٍ ... وانحنى منه للمذلَّة جيدُ
صاح بالرمل من صداه دوّي ... فإذا الرمل فارسٌ صنديدُ
هكذا أنت كلما افتقر الجيـ ... ـل لعزم فمن دماك الرصيدُ
صرخة لم يضع صداها وإن ... حاول تضييعها الضجيج الشديدُ
ولهيب ما أطفأته بحارٌ ... لا ولا استام من لظاه الجليدُ
ونزوع حر وأن حاولت أنْ ... تحتوي نزعه النفوس العبيدُ
إنَّ دنيا الخنوع للحر سم ... وهي للخانعين عيشٌ رغيدُ

فقد حاول الشاعر من خلال مخاطبته الإمام الحسين عليه السلام أن يصوغ فكرته في الأبيات المتقدمة، التي أكدت بقاء الذكرى الحسينيَّة خالدة في ضمير الزمن على الرغم من تباعد الحقب بوصفها درساً متجدداً ومستمراً باستمرار الصراع بين الخير والشر، فالشاعر أراد إيصال هذه الفكرة وهو «لا يحاول أن ينفس عن عاطفته فحسب، بل يحاول أن يؤديها في نوع من الأداء كفيل بأن ينفعل به متلقيه»[١١٦].

وفضلاً عمّا تقدَّم، فقد يجد القارئ لمراثي الإمام الحسين عليه السلام في الحقبة موضوع الدراسة نقداً سياسياً موجهاً ضد السلطة، والمؤسسات السياسية، وهذا الاهتمام في النقد السياسي يدل على وعي الشاعر العراقي، ومراقبته لما يجري،

حرصاً منه على مستقبل بلده، فكانت «السياسة في كل مرحلة تمر بمنعطفات جديدة، وتسلك روافد مختلفة حتى صارت صورة الأوضاع السياسية هذه مادة ثرَّة تمدّ الشعراء بالتجارب الحيَّة، وتثير فيهم العواطف الحارَّة»[١١٧]، وكان ذلك النقد -في أغلب الأحوال- شكوى من الشاعر إلى الإمام الحسين عليه السلام، يقول عبدالقادر رشيد الناصري[١١٨]: (من الكامل)

أمِن العدالة أن يذلّ لغاصبٍ ... شعب عداد النجم والأجرامِ
والعصر عصر النور فيه تحرَّرت ... كلّ الشعوب وليس عصر ظلامِ
فمحاكم التفتيش دال زمانها ... وتقوَّض البستيل بعد قيامِ
الا شعوب الشرق وهي عريقة ... تنقاد كالأنعام للإعدامِ
لما تزل من وقع سوط عدوِّها ... مرتاعة تبكي بكا الأيتامِ
والقيد حزَ بساقها فتخاذلت ... من ثقله وهوت على الأقدامِ

أنا إن بكيتك لست أبكي فانياً ... تطوي مفاخره يد الأيامِ
لي من مصابك وهونبع خالد ... وحي يُحَيِّي مرقمي بسلامِ

فالشاعر يشكوإلى الإمام الحسين عليه السلام ما يراه من واقع متردٍّ، وحال سيئة، حتى وصل بالامة إلى أن تذلَّ بعد عزِّها، محاولاً خلق حالة من الرفض والتحدي في نفوس الجماهير، لتبصيرهم بمفاسد السياسة.

ويقول طالب الحيدري[١١٩]: (من الكامل)

أشكوأبا الشهداء جور مخاتل ... في الشعب مطبوع على الإجرامِ
الجاهليَّة قد أعيدت مرَّةً ... أخرى فعاد الحكم للأصنامِ
الحاكمين بغير عدل في الورى ... وبغير قانون وغير نظامِ

فالحيدري باسلوبه «السهل الممتنع والفاظه الحلوة وروحه الثائر السخر ونظرته الحزينة»[١٢٠] يشكوختل الحكام، ومكرهم، وجورهم، ونهجهم في الحكم نهجاً جاهليّاً من خلال عدم المساواة في توزيع الحقوق، وهوأمر دأب عليه الشعر السياسي في العراق عامَّة، «إذ حفل... بفضح طبيعة السلطة التي تحكم البلاد بمختلف مراحلها، ودعا كثيراً إلى مناهضتها»[١٢١]، فإذا كان الأمر يتعلَّق بمراثي الإمام الحسين عليه السلام فإنَّه ليس غريباً أن تفعل المراثي في النفوس ما لا تفعله القصائد السياسية الأخرى، فقد «كان مجرد ذكر الحسين عليه السلام بعد واقعة الطف، يعد بملحظ سياسي تحدياً سافراً لنظام الحكم، ودعوة للإطاحة به، فهويرعب الطغاة، ويدخل الذعر بين صفوف أوليائه، بل هويقيمهم ويقعدهم منذ عصره حتى العصر الحاضر[١٢٢] وقد تعود ذاكرة الشاعر إلى زمن الحكومة الأمويَّة حينما يرى حكومته المعاصرة لا تلبي طموحات الشعب، يقول الشيخ مهدي مطر[١٢٣]: (من الكامل)

شكت الإمارة حظها واستوحشت ... أعوادها من عابثين تأمروا
وتنكَّرت للمسلمين خلافة ... فيها يصول على الصلاح المنكرُ
فشكت إليك وما شكت إلاّ إلى ... بطل يغار على الصلاح ويثأرُ

فقد أشار الشاعر إلى ما وصلت إليه الحكومة الإسلامية في عهد يزيد من مجانبة لمبادئ الإسلام، الأمر الذي اقتضى أن يجهر الحسين بدعوته لتصحيح ما اعوجَّ من أمرها، ودلالة الأبيات واضحة في بعدها السياسي الذي يتمثَّل في نقد السلطة الحاكمة، وتنبيهها على أخطائها.

وحينما يرى الشاعر البلدان الأوربية، وما وصلت إليه من رقي وتقدم،

ويقارن ذلك مع حال أمته، يعتصره الهم، فيهرع إلى الإمام الحسين عليه السلام شاكياً واقع الحال، من ذلك قول محمد جعفر النقدي[١٢٤]: (من الكامل)

شعَّ التمدن في البلاد ولم يزلْ وطني يسير على بعيد خيالهِ
الغرب أدرك في سنا أسحارهِ قصداً وضلَّ الشرق في آصالهِ

هذي شهيد الحق نفثة شاعرٍ يرثي لحال بلاده ولحالهِ

فقد شخَّص الشاعر مشكلة تخلف بلده، بالتمسك بالأوهام والأباطيل، وترك الطريق العلمي الصحيح الذي انتهجته دول الغرب، فوصلت إلى ما وصلت إليه من رقي وتقدم، في حين ظلَّت أمم الشرق تتخبط بمسالك التخلف، مما جعلها فريسة سهلة للاحتلال، لذا فإنَّ الشاعر نفسه يقول في بيت آخر من المرثيَّة[١٢٥]:

والغرب جرَّد سيفه وبموطني غمد اليراعَ صيانةً لضلالهِ

فقد رسم الشاعر هذه الصورة العدائية المعبرة عن علاقة الغرب بالعرب، التي ما كانت لتتحقق لولا ضعف العرب، وتهاونهم في الدفاع عن أرضهم.

وأخذت قضيَّة فلسطين حيزاً كبيراً من اهتمام شعراء المراثي الحسينيَّة التي خاضت في القضايا السياسية، ولاسيما أنَّ الشعراء العراقيين، وجدوا في تلك القضيَّة قضيَّة للعرب والمسلمين، فكان دافعهم لذكرها في المراثي دافعاً قومياً ودينياً، إذ لم ير هؤلاء الشعراء فاصلاً بين قضايا العروبة وقضايا الإسلام «ولم تكن الأفكار القومية التي عرضها الشعراء منفصلة عن القيم والأفكار الدينيَّة الإسلاميَّة، إذ لم تكن ثمَّة حواجز تجعلهم يفصلون بين هذه الأفكار، فتاريخ

العرب وماضيهم الحضاري هوذاته تاريخ المسلمين وماضيهم»[١٢٦] لذلك كانت فلسطين بالنسبة للشاعر العراقي تمثل عاملاً مشتركاً بين العروبة والإسلام، فهي قضية ذات وجهين؛ عربي وإسلامي، ولعلنا لا نجد شاعراً عراقياً لم يتطرَّق إلى تلك القضيَّة، يقول السيد محمود الحبوبي[١٢٧]: (من الطويل)

أعيذكم أن يهتف القدسُ صارخا بكم فتلبيه هتافاتكم تترى
يؤمِّل منكم منقذين فما يرى لإنقاذه إلاّ الخطابة والشعرا

وإذا كان السيد الحبوبي يرى أن العرب لا يملكون حيال فلسطين -وهي تنتهب- سوى الضجة الفارغة بالخطب والقصائد الرنانة، فإنَّ الشيخ عبدالغني الخضري يرى أنَّ ضياع فلسطين من أيدي العرب كان نتيجة إهمالهم القيم العربية والإسلامية، التي ضحّى من أجلها سيد الشهداء بكل ما يملك، يقول[١٢٨]: (من الوافر)

فلو إنّا بإخلاص بذلنا كبذل السبط أصحاباً وآلا
لعاد الكافر الباغي طريداً ولم يسلب لنا حتى العقالا
ولم تذهب فلسطين جباراً ولا ملك لغير العُرْب طالا

ويستنهض الشيخ محمد النقدي العرب، إذ يرى أنها ذهبت ضحيَّة العدو الذي رمى بحباله في الأرض العربيَّة، يقول[١٢٩]: (من الكامل)

يا قوم قد جار الغريب بأرضكمْ فحذار من أشراكه وحبالهِ
ما القدس تأسوه الجراح أليمة إلاّ ضحيَّة رشقة لنبالهِ

فهؤلاء الشعراء كانوا أمثلة للأدب الجديد في العراق، الذي حدد الدكتور يوسف عز الدين قضاياه بمناهضته الاستعمار، ومساندة العمل الاشتراكي، والدعوة إلى الوحدة العربية[١٣٠].

وقد وصل الأمر بالشعراء أحياناً أن يطلبوا الصفح من الله لقومهم العرب، لتهاونهم في الدفاع عن مقدساتهم، ولاسيما القدس الشريف، يقول صالح الجعفري[١٣١]: (من الكامل)

والمسجد الأقصى الشريف مصدَّع الـ ... فقرات لا أسساً ولا أسوارا
ما عاد يمنع نفسه منهم فهل ... يحمي قريباً أويكرم جارا

يا رب صفحك قد تراخت ريحنا ... حتى نسينا صرها إعصارا
لسنا بحيث أردتنا وتريدنا ... فاثأر لنفسك إن أردت الثارا
الأكثرون حصى ولكن لم يعد ... يكفي لأن تعتد منه جمارا

هذه الشكوى نقد لاذع يشير بوضوح إلى الإحساس بالمرارة التي تعتصر قلوب الشعراء العراقيين، وفي أذهانهم الموازنة بين وقعة الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء وحال الحكومات العربية آنذاك، التي وقفت متفرجة أمام مأساة فلسطين، والشاعر إذ يضمن مرثيته مثل هذه الأبيات فإنما يدل ذلك على أنَّ «شعر الحسين زاخراً بالثورة على الاستبداد»[١٣٢] بكل اشكاله.

ويقول السيد محمد جمال الهاشمي[١٣٣]: (من الطويل)

على مهلكم يا تائهين فإنَّما ... طريقكم وعر وصحراؤكم قفرُ
. . . . . .
افيقوا فإنَّ العلم أبدى نواحياً ... من الحق أخفاها التعصّب والغدرُ
وخلّوا فلسطيناً وإسعافها فقد ... أقامت لحل العقد -عقادها- مصرُ

فقد وصف الشاعر قومه بأنَّهم ضلّوا الطريق (يا تائهين) حينما لم يقفوا وقفة قوية يسترجعون بها ما سلب من أراضيهم، والشاعر ليس بعيداً عن معاناة

الشعب في فلسطين، فالأبيات تشير إلى إحساسه بمأساة العربي الذي يعيش تحت وطأة الاحتلال وعذاب القمع والسجون والمعتقلات، وكان موضوع الحرية من أهم المطالب التي ألحَّ عليها الشعراء العراقيون في مراثيهم الحسينيَّة، والملاحظ أنَّ هؤلاء الشعراء طالما ربطوا الحريَّة بالتخلص من الاستعمار، لذلك وجدوا بأنَّ الحريَّة لا يمكن أن تتحقق إلاّ بالنضال المستمر، يقول عبدالقادر رشيد الناصري[١٣٤]: (من الكامل)

أأبا العقيدة والنضال الدامي قدست ذكرك يابن خير إمامِ
وجعلت يومك رمز كل بطولةٍ غرّاء تسطع في فم الأيامِ

حريَّة الأمم الضعيفة دوحةٌ تسقى ولكن بالنجيع الدامي

فقد عقد الناصري الصلة بين نضال الإمام الحسين عليه السلام ومسألة الحرية في إشارة إلى توظيف ذلك في المطالبة بحرية شعبه المستلبة، وكان دأب الشعراء العراقيين عامة في النصف الأول من القرن العشرين، المطالبة بالحرية، لأن ذلك يعني استقلال بلدهم بشكل حقيقي، فقد «كانت دعوة الشعراء إلى الحرية سبيلاً إلى التخلص من قبضة الاستعمار»[١٣٥]، فالحرية مطلب جماهيري، يدرك الشاعر أهميته قبل غيره بوصفه فناناً ذا إحساس مرهف.

وقد وجد الشعراء بأنَّ خير درس في التحرر الثورة الحسينيَّة، التي يمكن أن تكون نبراساً في التحرر لكل الأمم، لذا فإنَّ محمد صالح بحر العلوم ينصح أبناء جيله بأن يعتبروا بتلك الثورة، وهم ينشدون الحرية، فيقول[١٣٦]: (من الطويل)

خذوا من ضحايا الطف درس تحررٍ فتلك الضحايا للتحرر معهدُ

ولا تـذكـروهـا بـالـبـكـاء مجـرَّداً فلم يجـدِهـا هـذا الـبـكـاء المجـرَّدُ

فقد عبَّر الشاعر عن مطمح جماهيري، لكنه ما كان ليعبر عنه لولم يكن يشعر بأهميته، وشدة ارتباطه بقضيَّة الإمام الحسين عليه السلام، وبذلك جسَّد الشاعر الدافعين المهمين في كل عمل أدبي، وهما: «رغبة الفنان (الشاعر) في أن ينفس عن عاطفته، ورغبته في أن يضع هذا التنفيس في صورة تثير في كل من يتلقاها نظير عاطفته»[١٣٧]، وإذا كان الشاعر يستمد مقومات الحرية من وقفة الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، فإنَّ ذلك يشير بوضوح إلى حضور قيم التراث في ضمير الفرد العربي، «وبهذا تتاح الفرصة لما هوحي من قيم الماضي أن يظل حياً ليستمر في المستقبل»[١٣٨].

ووجد عدد من الشعراء العراقيين في الحكم الملكي امتداداً للحكومة الإسلامية، مما يشير إلى حاجة هؤلاء الشعراء بالتشبث بآمال الحكومة المثالية التي رسموا صورة خيالية لها في أذهانهم، يقول حسين علي الأعظمي[١٣٩]: (من الطويل)

وأصبح تاج الهاشميين زاهـراً ببغـداد أوعـمّانيكلؤه النصـرُ
وإنـك حـي في بنيـك مخلَّـدٌ وبـاقٍ مـع الأحياء ما بقي الدهـرُ

ويؤكد المعنى ذاته في مرثية حسينيَّة أخرى، فيقول[١٤٠]: (من الكامل)

واليـوم نحيـا في سيـادة دولـةٍ وبـظـلِّ مملكـة نُعـزّ ونكـرمُ
أبناء هاشـم شيَّدوا استقلالهـا وبـنـوا سيـادتها الـتي لا تهـدمُ
والتاج يسطـع فوق مفرقِ فيصـلٍ ولـه وصـيٌّ هاشمـيٌّ معلـمُ
أحسين قمْ وانظرْ فذكرُك عاطـرٌ ويـزيـدُ في الدنيـا يُـذمّ ويُشتـمُ

فقد عبَّر الشاعر في الأبيات المتقدمة عن قناعته السياسية، وولائه للعائلة المالكة في العراق والأردن، لكنه وظَّف ذلك المديح لزرع الأمل في نفوس الناس من خلال

تأكيده الطابع الشرعي للحكم الملكي آنذاك، حينما أشار إلى الامتداد النَسَبي للعائلة المالكة الذي يرتبط بالإمام الحسين عليه السلام، ولاسيما في قوله: (وإنك حي في بنيك مخلَّد).

وهكذا فقد أثبت الشعراء العراقيون في مراثيهم الحسينيَّة أنَّ الأدب ينبع من ذات الإنسان، ولكنه لا يستطيع أن ينفصم عن واقع المجتمع الذي يعيش فيه الأديب، فقد سجَّل الشاعر العراقي، وفي حضرة الإمام الحسين عليه السلام كل همومه ومتاعبه التي أثارتها عوامل السياسة، محرضاً، ومستنهضاً، وناصحاً، وشاكياً إلى سيد الشهداء، وبذلك «لم يترك هؤلاء الشعراء هذه الأحداث تمر دون أن يكون لهم فيها رأي أواجتهاد أوتفسير»[١٤١]، فالشاعر العراقي كان يعي دور الكلمة في تغيير الواقع السياسي، فضلًا على وعيه بأنّ الأدب ليس ببعيد عن الأحداث السياسية، وهذا يعني أنَّ الشاعر كان يمارس دوره في نقد ذلك الواقع، حتى في حالات حزنه.

الهوامش

(١) ينظر: الالتزام في الشعر العربي: ١٢، الهامش ١، والأدب وقيم الحياة المعاصرة: ١٦٥.

(٢) الأدب للشعب: ٤.

(٣) ينظر: الأدب السياسي الملتزم في الإسلام: ٤١.

(٤) في نقد الشعر: ٤٠.

(٥) ينظر، تطور الفكرة والاسلوب في الادب العراقي الحديث: ٧٧-٨١.

(٦) مناهج الدراسة الأدبية في الأدب العربي: ١٠٣.

(٧) م. ن: ١٠٣.

(٨) سيكولوجية التذوق الفني: ٦٧.

(٩) أدب الطف: ١٠/ ٩٦.

(١٠) الذخائر: ٤٠.

(١١) تراجيديا كربلاء: ٣٠٨.

(١٢) روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: "من قال فينا بيت شعر بنى الله تعالى له بيتاً في الجنة". عيون أخبار الرضا: ٢/ ١٥.

(١٣) الحسين في الشعر الحلي: ٤٥١.

(١٤) م. ن: ٣٧٢.

(١٥) التفسير النفسي للأدب: ٣٧.

(١٦) ديوان الفرطوسي: ١/ ١٠٣.

(١٧) لا يخفى أن الشفاعة بنص القرآن لله وحده: ﴿قُلْ لله الشَّفاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ﴾ (الزمر/ ٤٠)، وقال سبحانه: ﴿ما مِنْ شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ (يونس/ ٣)، وقال سبحانه: ﴿يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾ (طه/ ١٠٩).

(١٨) ديوان الشيخ يعقوب الحاج جعفر الحلي: ٤٠.
(١٩) ديوان أبي الحب: ١٤٣.
(٢٠) ديوان الناصري: ٢/ ١٤٦.
(٢١) طفيات الشيخ صالح الكواز الحلي (بحث/ مجلة جامعة كربلاء): ١٩٣.
(٢٢) ديوان الفرطوسي: ١/ ٧٦.
(٢٣) رسالة الأديب: ٢١٨.
(٢٤) ديوان الفرطوسي: ١/ ١٨.
(٢٥) ينظر: نقد الشعر في المنظور النفسي: ١٨٣.
(٢٦) الشعر والمجتمع: ٦٩.
(٢٧) ديوان الجواهري: ٣/ ٢٣٥.
(٢٨) م. ن: ٣/ ٢٣٦.
(٢٩) ينظر: تاريخ الفلسفة الحديثة: ٦٣، والمعجم الفلسفي: ١/ ٧٠٥.
(٣٠) ديوان الجواهري: ٣/ ٢٣٧
(٣١) وردت الكاف في (إليك) مكسورة في الديوان، والأصوب فتحها.
(٣٢) من الوجهة النفسية في دراسة الأدب: ٦٤.
(٣٣) الأسس النفسية للإبداع الفني: ٣٣٩.
(٣٤) رسالة الأديب: ٢٤٨.
(٣٥) ديوان الحاج عبدالحسين الأزري: ٣٣٩.
(٣٦) ديوان الشيخ يعقوب الحاج جعفر الحلي: ٦٦.
(٣٧) ديوان أبي الحب: ١٤١.
(٣٨) رسالة الأديب: ٢٤٨.
(٣٩) ديوان الشيخ كاظم آل نوح: ١/ ٥.
(٤٠) علم النفس والأدب: ١٤٤.
(٤١) موسوعة علم النفس: ١٤٤-١٤٥.
(٤٢) مع النبي وآله: ١/ ١٩٤.
(٤٣) الإبداع في الفن: ٦٦.

(٤٤) علم النفس الفني: ٢١٢.
(٤٥) يوم الحسين: ٤٨.
(٤٦) مجلة البيان (ع ١١-١٤) لسنة ١٩٤٧: ٣٩.
(٤٧) وظيفة الأدب: ٨٨.
(٤٨) ينظر: التحليل الاجتماعي للأدب: ١١٧.
(٤٩) أبو الشهداء الحسين بن علي: ٥٠.
(٥٠) م. ن: ٥٠.
(٥١) ديوان بحر العلوم: ٢/ ١٢٢.
(٥٢) مع النبي وآله: ١/ ١٨٨.
(٥٣) ديوان السماوي: ٣٧٨.
(٥٤) ديوان بحر العلوم: ٢/ ٨٦.
(٥٥) القيم الإسلامية في الشعر العراقي الحديث (رسالة ماجستير): ٢١.
(٥٦) الإمام الحسين عليه السلام عملاق الفكر الثوري: ٣٥٥.
(٥٧) الإبداع والشخصيَّة، دراسة سيكولوجية: ٣١٦.
(٥٨) مشكلة الإبداع الفني رؤية جديدة: ٢٧٩.
(٥٩) هو السيد جعفر القزويني، ينظر: ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ٤٢٣.
(٦٠) م. ن: ٤٢٤.
(٦١) في النقد الأدبي الحديث منطلقات وتطبيقات: ١٧٦.
(٦٢) التحليل الاجتماعي للأدب: ١٤٤.
(٦٣) الديوان: ٢/ ١٦٦.
(٦٤) نقد الشعر في المنظور النفسي: ٩١.
(٦٥) ديوان أبي المحاسن الكربلائي: ١٤٧.
(٦٦) مجلة الغري ع٦ لسنة ١٩٤٥: ٨١.
(٦٧) الأدب السياسي الملتزم في الإسلام: ٥٣.
(٦٨) مجلة الغري ع٦ لسنة ١٩٤٥: ٨٢.
(٦٩) مفهوم الشعر: ٢٧٤.

(٧٠) جمهرة وصايا العرب: ١/ ١٢٠.
(٧١) ديوان الشيخ يعقوب الحاج جعفر الحلي: ١٤٢.
(٧٢) م. ن: ١٣٣.
(٧٣) ديوان أبي المحاسن الكربلائي: ١٤٨.
(٧٤) في الطبعة الثانية من الديوان وردت (والمزق)، ينظر: ديوان محمد حسن أبي المحاسن: ١٣٦.
(٧٥) مجلة الغري: ع ٦ لسنة ١٩٤٥: ٨٢.
(٧٦) ديوان الوائلي: ١/ ١٧٠.
(٧٧) القيم الأخلاقية والاجتماعية والفكرية في وصايا عصر قبل الإسلام الشعرية والنثرية (رسالة ماجستير): ٢٤.
(٧٨) مجلة الغري (ع ٩-١٠) لسنة ١٩٤٨: ٢٣.
(٧٩) ديوان السيد مهدي الطالقاني: ٧٩.
(٨٠) العقد الفريد: ١/ ١٠٠.
(٨١) القيم الأخلاقية والاجتماعية والفكرية في وصايا عصر قبل الإسلام الشعرية والنثرية (رسالة ماجستير): ٨.
(٨٢) ديوان الوائلي: ١/ ١٧١.
(٨٣) ديوان الفرطوسي: ١/ ٩٦.
(٨٤) في النقد الأدبي الحديث منطلقات وتطبيقات: ١٧٥.
(٨٥) أصداء الحياة: ٧٤-٧٦.
(٨٦) مجلة الغري، ع (٩-١٠) لسنة ١٩٤٨: ٢٣.
(٨٧) ديوان السماوي: ٣٦١.
(٨٨) لغة الشعر الحديث في العراق: ١١١.
(٨٩) أصداء الحياة: ٩٠.
(٩٠) ألوان شتى (ديوان شعر): ١٠٩-١١٠.
(٩١) ذكريات، أحلام وتأملات: ٣٣٠، وردت في النص (وبالتالي)، والأصوب أن يقال: (ومن ثمَّ).
(٩٢) ديوان الجواهري: ٢/ ٢٧١.

(٩٣) ديوان الجواهري: ٢/ ٢٧٤.
(٩٤) في النقد الإسلامي المعاصر: ٢٦.
(٩٥) ينظر: الشعر العراقي الحديث، مرحلة وتطور: ٥٣-٥٦.
(٩٦) ينظر: الأدب العربي في كربلاء: ٦٥.
(٩٧) الأدب وفنونه، د. عز الدين إسماعيل: ٤٣.
(٩٨) ينظر: الشعر العراقي الحديث: ٤٩.
(٩٩) ينظر: تطور الشعر العربي الحديث في العراق: ١١١-١١٢، وأثر التراث في الشعر العراقي الحديث: ١٨١.
(١٠٠) تطور الشعر العربي الحديث في العراق: ١١٤.
(١٠١) تطور الشعر العربي الحديث في العراق: ١١٥.
(١٠٢) مجلة البيان ع (٥٧-٥٨) لسنة ١٩٤٨: ٢١٥.
(١٠٣) الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر: ١٨.
(١٠٤) مجلة البيان ع (١١-١٤) لسنة ١٩٤٧: ٣٩.
(١٠٥) أثر التراث في الشعر العراقي الحديث: ١٧٩.
(١٠٦) ديوان بحر العلوم: ٢/ ١٢٢.
(١٠٧) يقصد الحقبة بين الاحتلال البريطاني للعراق عام ١٩١٧ وعام هذه المرثية ١٩٤٧م.
(١٠٨) في ألأدب العربي الحديث بحوث ومقالات نقدية: ٧.
(١٠٩) ديوان الشيخ عبدالغني الخضري: ١٧٩.
(١١٠) ديوان الشيخ عبدالغني الخضري: ١٨٢.
(١١١) ويكون التجاوز: ٢٠-٢١.
(١١٢) من وحي الحسين: ٣٩.
(١١٣) من وحي الزمن: ١٩٧.
(١١٤) وظيفة الأدب: ٢٧-٢٨.
(١١٥) ديوان الشعر الواله في النبي وآله: ٩٩.
(١١٦) وظيفة الأدب: ٢٦.
(١١٧) الأدب العربي الحديث دراسة في شعره ونثره: ٨١.

(١١٨) ديوان عبدالقادر رشيد الناصري: ١/ ٢.
(١١٩) من وحي الحسين: ٢٧.
(١٢٠) الادب المعاصر في العراق، ١٩٣٨-٩٤: ١٩٦٠.
(١٢١) لغة الشعر الحديث في العراق: ١١١.
(١٢٢) الإمام الحسين عملاق الفكر الثوري: ٣٥٠.
(١٢٣) أدب الطف: ١٠/ ٢٩٨.
(١٢٤) يوم الحسين: ٩٨.
(١٢٥) م. ن: ٩٩.
(١٢٦) أثر التراث في الشعر العراقي الحديث: ١٨٤.
(١٢٧) مجلة البيان ع (٥٧-٥٨) لسنة ١٩٤٨: ٢١٥.
(١٢٨) ديوان الشيخ عبدالغني الخضري: ١٨٢.
(١٢٩) يوم الحسين: ٩٩.
(١٣٠) ينظر: الأدب العربي الحديث بحوث ومقالات نقدية: ١٠.
(١٣١) ديوان الجعفري: ١٥١.
(١٣٢) الأدب العربي الحديث بحوث ومقالات نقدية: ١٦.
(١٣٣) مع النبي وآله: ١٩١.
(١٣٤) ديوان عبدالقادر رشيد الناصري: ١/ ١.
(١٣٥) في الشعر العربي الحديث: ٤٧.
(١٣٦) ديوان بحر العلوم: ٢/ ١٢٢.
(١٣٧) وظيفة الأدب: ٢٧.
(١٣٨) الأدب وقيم الحياة المعاصرة: ١٩٥.
(١٣٩) مجلة البيان ع (١١-١٤) لسنة ١٩٤٧: ١٤.
(١٤٠) مجلة البيان ع (١١-١٤) لسنة ١٩٤٧: ٥٢.
(١٤١) الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: ٨.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانيا: الكتب المطبوعة:

١. الإبداع في الفن، قاسم حسين صالح، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية، دار الرشيد للنشر، دار الطباعة للنشر، بيروت ١٩٨١.

٢. الإبداع والشخصية، دراسة سيكولوجية، عبدالحليم محمود السيد، دار المعارف، مصر، ١٩٧١.

٣. أبوالشهداء الحسين بن علي، عباس محمود العقاد، دار نشر الشريف الرضي، إيران، ط٢، د. ت.

٤. أثر التراث في الشعر العراقي الحديث، علي حداد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٦.

٥. الأدب السياسي الملتزم في الإسلام، د. صادق آئينة وند، ود. حسن عباس نصر الله، دار التعارف للطباعة والنشر، بيروت، د. ت.

٦. الأدب للشعب، سلامة موسى، مكتبة الإنجلوالمصرية، القاهرة، ١٩٥٦م.

٧. أدب الطف، اوشعراء الحسين من القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع عشر، جواد شبر، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ط١، ٢٠٠١.

٨. الأدب العربي الحديث، دراسة في شعره ونثره، د. سالم أحمد الحمداني ود. فائق مصطفى أحمد، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد ١٩٨٧.

٩. الأدب العربي في كربلاء من إعلان الدستور العثماني إلى ثورة تموز ١٩٥٨، اتجاهاته وخصائصه الفنية، د. عبود جودي الحلي، منشورات مكتبة أهل البيت، كربلاء، ط١، ٢٠٠٥.

١٠. الادب المعاصر في العراق، ١٩٣٨-١٩٦٠، د.داود سلوم، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٢.
١١. الأدب وفنونه، د. عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، مصر، ط٦، ١٩٧٦.
١٢. الأدب وقيم الحياة المعاصرة، د. محمد زكي العشماوي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠.
١٣. الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة، د. مصطفى سويف، دار المعارف، مصر ط٣، ١٩٦٩.
١٤. أصداء الحياة، نفح الخلود (ديوان شعر)، مظهر اطميش، مطبعة الراعي، النجف، ١٩٥٤.
١٥. الالتزام في الشعر العربي، د. أحمد أبوحاقة، دار العلم للملايين، بيروت. ط١، ١٩٧٩.
١٦. ألوان شتى (مجموعة شعر)، طالب الحيدري، مطبعة دار المعارف، بغداد، ط١، ١٩٤٩.
١٧. تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، دار المعارف، مصر، ١٩٤٩.
١٨. التحليل الاجتماعي للأدب، السيد يسين، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٣، ١٩٩٢.
١٩. تراجيديا كربلاء، سوسيولوجيا الخطاب الشيعي، إبراهيم الحيدري، دار الساقي، بيروت، ط١، ١٩٩٩.
٢٠. تطور الشعر العربي الحديث في العراق اتجاهات الرؤيا وجمالات النسيج، د. علي عباس علوان، منشورات وزارة الإعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٧٥.
٢١. تطور الفكرة والاسلوب في الادب العراقي الحديث في القرنين التاسع عشر والعشرين، د.داود سلوم، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٩.
٢٢. التفسير النفسي للأدب، د. عز الدين إسماعيل، مكتب غريب، مصر، ط٤، د. ت.
٢٣. جمهرة وصايا العرب، دراسة وتحقيق: محمد نايف الدليمي، منشورات دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
٢٤. الحسين في الشعر الحلي، تراجم وقصائد، سعد الحداد، دار الضياء للطباعة والتصميم، النجف، ٢٠٠٧.
٢٥. ديوان أبي الحب (الصغير)، تحقيق سلمان هادي الطعمة، مطبعة الآداب، النجف،

١٩٦٦.
٢٦. ديوان أبي المحاسن الكربلائي، تحقيق، محمد علي اليعقوبي، مطبعة الباقر، النجف الأشرف ط١، ١٣٨٣ هـ. وط٢، ٢٠٠٠ ضمن كتاب (ديوان أبي المحاسن دراسة عن حياته والاتجاهات السياسية في شعره، نوري كامل محمد حسن، مؤسسة العارف للمطبوعات، ط١، ٢٠٠٠م.
٢٧. ديوان بحر العلوم، محمد صالح بحر العلوم، مطبعة دار التضامن، ط١، ١٩٦٩.
٢٨. ديوان الجعفري، صالح بن عبدالكريم بن جعفر كاشف الغطاء، تحقيق وجمع وإشراف علي جواد الطاهر، وثائر حسن جاسم، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ١٩٨٥.
٢٩. ديوان الجواهري، محمد مهدي الجواهري، تحقيق د. إبراهيم السامرائي ود. مهدي المخزومي. ود. علي جواد الطاهر ورشيد بكتاش، مطبعة الأديب البغدادية، ١٩٧٣.
٣٠. ديوان السماوي، الشيخ عبدالحميد السماوي، تحقيق أحمد عبدالرسول السماوي، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٧١.
٣١. ديوان الشعر الواله في النبي وآله، د. الشيخ أحمد الوائلي، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٨.
٣٢. ديوان الحاج عبدالحسين الأزري، تحقيق مكي السيد جاسم وشاكر هادي شكر، تقديم علي الشرقي وترجم للشاعر جعفر الخليلي، مؤسسة النعمان، بيروت.
٣٣. ديوان الشيخ عبدالغني الخضري، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٥٢.
٣٤. ديوان عبدالقادر رشيد الناصري، ج١، جمعه وضبطه كامل خميس، مطبعة شفيق، بغداد ١٩٦٥، وحقق الجزء الثاني الذي عنون بـ(ديوان الناصري)، هلال ناجي وعبدالله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٩٦٦م.
٣٥. ديوان الفرطوسي، عبدالمنعم الفرطوسي، مطبعة الغري الحديثة النجف، ط٢، ١٩٦٦.
٣٦. ديوان الشيخ كاظم آل نوح، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٩.
٣٧. ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي، جمعه محمود الحبوبي، تصحيح وشرح وترجمة الإعلام وترتيب عبدالغفار الحبوبي، مديرية المطابع العسكرية، بغداد، ١٩٨٣.

٣٨. ديوان السيد مهدي الطالقاني، جمع وتحقيق السيد محمد حسن الطالقاني، مؤسسة المواهب للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٩.
٣٩. ديوان الوائلي، إبراهيم الوائلي، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢.
٤٠. ديوان الشيخ يعقوب الحاج جعفر النجفي الحلي، عني بجمعه والتعليق عليه ولده محمد علي اليعقوبي، مطبعة النعمان، النجف، ط١، ١٩٦٢.
٤١. ذكريات، أحلام، تأملات، كارل غوستاف يونغ، ترجمة ناصر السعدون مراجعة د. سلمان الواسطي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠٠١.
٤٢. رسالة الأديب، د. زكي مبارك، إعداد وتقديم كريمة زكي مبارك، إشراف رباب عدنان درويش، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ١٩٩٩.
٤٣. سيكولوجية التذوق الفني، د. مصري عبدالحميد حنورة، دار المعارف، مصر، ١٩٨٥.
٤٤. الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر، د. إبراهيم الوائلي، مطبعة المعارف، بغداد، ط٢، ١٩٧٨.
٤٥. الشعر العراقي الحديث، مرحلة وتطور، د.جلال الخياط، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٧.
٤٦. الشعر والمجتمع، مختارات من الأبحاث المقدمة لمهرجان المربد الثالث، ١٩٧٤، منشورات وزارة الإعلام العراقية، ١٩٧٤.
٤٧. العقد الفريد، ابن عبدربه(أحمد بن محمد الأندلسي ت ٣٢٨هـ)، تحقيق محمد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة، القاهرة ١٩٤٠.
٤٨. علم النفس الفني، د. أبوطالب محمد سعيد، مطابع التعليم العالي، الموصل ١٩٩٠.
٤٩. علم النفس والأدب، د. سامي الدروبي، دار المعارف، مصر، ١٩٧١.
٥٠. عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق (أبوجعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ت ٣٨١هـ)، صححه وقدم له وعلق عليه حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٩٨٤.
٥١. في الأدب العربي الحديث، بحوث ومقالات نقدية، د. يوسف عز الدين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣.
٥٢. في النقد الأدبي الحديث، منطلقات وتطبيقات، د. فائق مصطفى ود. عبدالرضا علي،

دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ط٢، منقحة ومزيدة ٢٠٠٠.
٥٣. في النقد الإسلامي المعاصر، د. عماد الدين خليل، مؤسسة الرسالة بيروت، ط١، ١٩٧٢.
٥٤. في نقد الشعر، د. محمود الربيعي، دار المعارف، مصر، ط٤، ١٩٧٧.
٥٥. لغة الشعر الحديث في العراق بين مطلع القرن العشرين والحرب العالمية الثانية، د. عدنان حسين العوادي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨٥.
٥٦. مشكلة الإبداع الفني، رؤية جديدة، د. علي عبدالمعطي محمد، دار الجامعات المصرية، د. ت.
٥٧. مع النبي وآله، (ديوان شعر)، السيد محمد جمال الهاشمي مطبعة بهرز، إيران، ط١، ١٩٨٥.
٥٨. المعجم الفلسفي، بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، د. جميل صليبا، نشر مؤسسة ذوي القربى، إيران، ط١، ١٣٨٥هـ.
٥٩. مفهوم الشعر، دراسة في التراث النقدي، د. جابر عصفور، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨٢.
٦٠. من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده، د. محمد خلف الله أحمد المطبعة العالمية، القاهرة، ط٢، ١٩٧٠.
٦١. من وحي الحسين (ديوان شعر)، طالب الحيدري، مطبعة المعارف، بغداد، ط١، ١٩٥٢.
٦٢. من وحي الزمن (ديوان شعر)، عباس الملا علي، دار الحرية للطباعة بغداد، ط٢، ١٩٨٦.
٦٣. مناهج الدراسة الأدبية في الأدب العربي، د. شكري فيصل، دار العلم للملايين بيروت، ط٥، ١٩٨٢.
٦٤. موسوعة علم النفس، أسعد رزوق، مراجعة عبدالله عبدالدايم، مطابع الشروق، بيروت، ط١، ١٩٧٧.
٦٥. نقد الشعر في المنظور النفسي، د. ريكان إبراهيم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،

ط١، ١٩٨٩.
٦٦. وظيفة الأدب بين الالتزام الفني والانفصام الجمالي، د. محمد النويهي، مطبعة الرسالة، القاهرة، ١٩٦٦، ١٩٦٧.
٦٧. ويكون التجاوز، دراسات نقدية معاصرة في الشعر العراقي الحديث، محمد الجزائري، منشورات وزارة الإعلام، الجمهورية العراقية، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٤.
٦٨. يوم الحسين، مجموعة القصائد والخطب التي ألقيت بمناسبة ذكرى الإمام الحسين عليه السلام، للسنوات ١٩٤٧-١٩٥٠، مؤسسة دار السلام، لندن، ط٢، ١٩٩٩.

ثالثا: الرسائل الجامعية:

٦٩. القيم الأخلاقية والاجتماعية والفكرية في وصايا عصر ما قبل الإسلام الشعرية والنثرية، سهام حسين جواد السامرائي، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات، جامعة تكريت، ٢٠٠٢.
٧٠. القيم الإسلامية في الشعر العراقي الحديث ١٩٤٥ ١٩٨٠، رائد فؤاد طالب الرديني، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٢.

رابعا: المجلات:

٧١. مجلة البيان، مجلة أسبوعية، أدبية، اجتماعية، جامعة، تصدر مرتين في الشهر مؤقتا، رئيس تحريرها ومديرها المسؤول علي الخاقاني، النجف، العدد (١١، ١٢، ١٣، ١٤) السنة الأولى، ١٤ ك٢، ١٩٤٧ عدد خاص بالإمام الحسين عليه السلام والعدد ٥٧، ٥٨ السنة الثالثة في ٢٢، ك١، ١٩٤٨، عدد خاص بالإمام الحسين عليه السلام.
٧٢. مجلة جامعة كربلاء، المجلد الخامس، العدد الرابع، إنساني، ك١، ٢٠٠٧م الموضوع (طفيات الشيخ صالح الكواز الحلي دراسة موضوعية تحليلية)، د. علي كاظم المصلاوي.
٧٣. مجلة الغري، مجلة علمية، أدبية، فلسفية، فنية، اقتصادية، اجتماعية، عامة، صاحبها ورئيس تحريرها شيخ العرافين آل كاشف الغطاء، تصدر في النجف، العدد ٦ في ٣٠ ك١ ١٩٤٥، السنة السادسة عدد خاص بالإمام الحسين عليه السلام والعدد (٩، ١٠) السنة العاشرة في ٢١ ك١ ١٩٤٨، عدد خاص بالإمام الحسين عليه السلام.